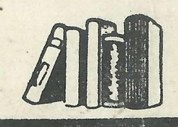
١٣





المكتبة الصغيرة



بنو الأثير
الفرسان الثلاثة

محمد بن عبد الله الحمدان

المكتبة الصغيرة

(١٣)

بنو الأثير
الفرسان الثلاثة

محمد عبدالله الحمدان

الطبعة الأولى
ذوالقعدة ١٣٩٤ هـ
نوفمبر ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

ربحت المكتبة الصغيرة بهذا الكتاب ، وخسرت في آن واحد ..

أما انها ربحت ، فلأنها ضمت الى حلقاتها ، حلقة جديدة ، تناولت - بإتقان - موضوعاً جديداً ، على نسق جديد ، لباحث شاب ، شديد الولع بالبحث هو الأستاذ محمد بن عبد الله الحمدان ، الذي انضم الى كتابها .. وكل هذا ربح ، من ذلك النوع من الربح الذي تنشده وتحرص عليه ، هذه السلسلة من الكتب الصغيرة !

وأما انها خسرت .. فذلك لأن هذا الباحث الشاب ، كان يوشك أن يعد بحثاً عن الدكتور أو الدكاترة زكي مبارك ، فصرفته عنه ، واقترحت عليه أكثر من موضوع ليكتب فيه .. فاختار هذا الموضوع الذى تقرأون : « بنو الأثير .. الفرسان الثلاثة .. »

صرفته عن الدكتور « زكي مبارك » لأنني أحب أدب هذا الأديب ، واستظرف شخصيته ، واستملح أسلوبه .. وأشغف به منذ عهد ليس بالقليل .. هو على الأقل ، أسبق من حب كاتبنا الشاب له ..

ومع ذلك فقد صرفته عن الدكتور .. لأنني أوثر أن

ندع الدكتور لمعاصريه .. من أولئك الذين عرفوه عن كثب .. ليحللوا شخصيته وأدبه تحليلاً أكثر عمقاً .. وقد فعل ذلك بعضهم .. وان كان الأمل أن يتصدى للدكتور منهم ، من يدرس شخصيته دراسة أشمل وأبعد امداء ..

أما بنو الأثير .. فقد أصبح تراثهم الثمين حقاً لكل باحث ، ولا أعرف من تناول الكلام على هؤلاء الأخوة مجتمعين .. أسرة واحدة .. فان تراجم الأسرات لم تشع بعد فى مؤلفاتنا ، ونحن أحوج مانكون الى التفطن اليها .. لنضرب المثل بها لشبابنا ، كما ضربنا الأمثلة فى تراجم الأفراد النوابغ .. اننا نريد أن نشجع النبوغ لينمو دفعة واحدة .. لو كان الى ذلك سبيل وإلا فما أحرانا أن نستكثر منه ..

واذا شاع النبوغ في العالم العربي .. فأجدر بنا أن ندرك به بعض مافاتنا فى سباتنا الطويل ..

ولقد بذل المؤلف الشاب في عمله الفكري الواسع جهداً ، أشهد انه كبير .. ورحل في تتبع آثار هؤلاء الأخوة العباقرة الى مكتبات جدة ، والظهران ، والقاهرة .. ووقف على مكتبات متعددة خاصة وعامة ، وشاهد مخطوطات متنوعة .. حتى توفرت له مادة كبيرة .. ثم كان عليه أن يضغط هذه المادة في كتيب صغير .. ولعل هذه المهمة كانت أشق عليه من كل ماعانى من مشقات ..

كان كل واحد من هؤلاء الأخوة الثلاثة .. أعنى ابن الأثير المحدث ، وابن الاثير المؤرخ ، وابن الأثير الاديب ـ كان كل واحد منهم فارساً فى فنه .. فلا عجب أن أطلق عليهم : الفرسان الثلاثة .. وكل منهم غزير الانتاج ، غزير العلم .. وسيلمس القارىء كل ذلك .. اذا اطلع على هذا الكتاب .. وسيجد ان الباحث لم يكد يغادر مصدراً دل

على أحد هؤلاء الفرسان ، أو تحدث عنه ، الاوقد وقف عليه .

وتدلنا النصوص الكثيرة التي جاء بها المؤلف ، على ذلك ، كما تدلنا على أمانته العلمية .. وعلى ما تمتع بـه من صبر على البحث ومعاناته ، حتى لقد خشيت أن تحد هذه النصوص من حريته الذاتية في البحث والاستنتاج .. ولكنه كان بارعا في استعمال هذه النصوص .. وفي سوقها في سياقها السليم الصحيح ..

ومن العجب أن شخصية زكي مبارك .. التي حاولت أن أبعدها عن صديقي الأستاذ محمد عبد الله الحمدان ، أبت إلا أن تلاحقه .. متمثلة في شخصية ابن الأثير الأديب الذى وجد فيه المؤلف ملامح من الدكتور ..

ان هذا الكتاب ، جهد ضخم حاول المؤلف أن يضغطه في حجم ضئيل .. وقد وفق الى ذلك ، توفيقه في الترجمة لهؤلاء الاخوة النوابـغ ، وفي الكلام على آثارهم الباذخة في الفكر العربي الاسلامي ..

ولا أبالغ حين أقول ، ان المؤلف استطاع ، أن يزيدني شغفاً بهؤلاء الأخوة ، وآثارهم ، حتى لطفقت أجمع مؤلفاتهم ما استطعت لهـا جمعاً .. استدراكاً لمـا فاتني الوقـوف عليه منها !

باسم ((المكتبة الصغيرة)) أهنىء الكاتب الشاب على باكورة بحـوثه .. وباسمها أهـدى الكتاب الى قرائه .. ومن الله عز شأنه ، نستمد جميعاً العون والتوفيق

الطائف ١٤ رمضان ١٣٩٤ هـ — عبد العزيز الرفاعي

المقدمة

عندما كتبت كلمة عن الدكتور زكي مبارك(١) عنّ لي أن أتوسع فيهـا ، وأجعلها كتابا أو كتيباً ، إلا أني تذكرت أن كتبا ثلاثة ألفت عن (الدكاترة) زكي مبارك ، لفاضل خلف من الكويت ، وعبد الرزاق الهلالي من العراق ، وأنور الجندي من سوريا ، فعدلت عن ذلك .

ولما تعرفت على الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، صاحب ((المكتبة الصغيرة)) ،ولازمت حضور (صالونه الأدبي) ، فاتحته في تلك الكلمة .. لتكون ضمن سلسلة ((المكتبة)) ، ولـكن الرفاعي رأى غير هـذا ، لذلك السبب نفسـه ، وأشار عـليّ بموضوعين يمـكن لي الكتابة فيهما ، فاخترت أحدهما ، وهو أن أتحدث عن الإخوة الثلاثة - أبناء الأثير - وألقي بعض الأضواء عليهم .

■ ■ ■

وإن المتتبع لآثار سلفنا الصالح ، وما خلفوه من أنواع المعرفة والعلوم ، يعجب من نشاطهم وكدهم في سبيل نشر العلم في وقت عصيب ، لـم تكن تتوفر فيـه من الوسائل والتسهيلات ، ما أصبح متوفرا في هذا العصر .. من نسخ ، وطبع ، وتصوير ، وسهولة انتقال .. ومع هذا كتبوا وألفوا وبحثوا وبذلوا جهودا كبيرة في هذا السبيل .

■ ■ ■

---

(١) نشرت في العدد الثاني من (ملف اليمامة الثقافي) الصادر في آخر عام ١٣٩٢ هـ بالرياض .

والذي يحز في النفس أن تلك المؤلفات النفيسة امتدت إليها أيدى الغدر والإهمال ، فاحرق أو أغرق بعضها بواسطة بعض الجيوش الغازية الحاقدة ، وبعثر البعض الآخر ، أو عبث به ، وما سلم من هذاوذاك تسرب الى الخارج .. الى أوربا وأمريكا .. حيث يعتنون هناك بنوادر المخطوطات العربية ، أكثر من عنايتنا بها ، ويبذلون الغالي في سبيل الحصول عليها ..

والأمثلة والشواهد كثيرة .. منها ماتزخر به معظم المكتبات هناك من نفائس مخطوطاتنا في شتى العلوم ، وما بذله بعض المستشرقين من جهود لطبع بعضها ، وما يقوم به مندوبو تلك المكتبات في الدول العربية والإسلامية من تصيد للمخطوطات والكتب النادرة وشرائها بأغلى الأسعار . وأخطر من هذا تسرب المخطوطات القيمة إليهم من مكتباتنا .

حدثني صديق قال : تجمع لدي عدد كبير من المخطوطات فعرضتها للبيع في بلدي ، فلم يهتم بها أحد فذهبت بها لبيروت .. وبعتها على أحد وكلاء مكتبات أوربا .. وباختصار فاهتمام أولئك بمخطوطاتنا معروف ومشهور ..

لماذا اخترت أبناء الاثير ؟

والذي دفعني لاختيار هؤلاء الأعلام وإبراز نشاطهم أمور :ـ

أولها : أن هؤلاء الإخوة الأعلام ، لم يلقوا العناية الكافية والإهتمام الذي يستحقونه نظير خدمتهم لتراثنا ، وجهودهم المشكورة فيتزويد المكتبةالعربية والإسلامية بنفائس الكتب .. ومعذلك فإنه لاتوجد لهم سوى ترجمات مقتضبة ومتفرقة ، إما في كتب التراجم ، أو في مقدمات محققي مؤلفاتهم ،باستثناء

تراجم قليلة لعز الدين علي وضياء الدين نصر الله فقط (سترد الإشارة اليها) .

ثانيها : التشابه الذي يحصل في أسماء أبناء الأثير ، وعدم تفريق كثير من الناس بينهم ، بل إن البعض لا يدري أنه يوجد أكثر من ابن أثير واحد ، وكثيراً مايحدث الإلتباس حينما تطلق عبارة ((ابن الأثير)) إطلاقاً غير محدد .. فلا يعلم أيهم المقصود ؟!

وقد أدرك مؤلف معجم المصنفين (محمد حسن التونكي) هذا التشابه ، فقال في مقدمة كتابه ـ بعد ما أشار الى ماصنف في أسماء الكتب (ص ٢٥) - (فبذلك اشتبه الأمر لتشابه الأسامي ، وكذا المصنفون اشتهر جماعة منهم بالألقاب والأنساب ، وهم خلطاء فيها وشركاء ، فاختلط الأمر . فبنو الأثير جماعة من العلماء المصنفين ، فابن الأثير مصنف كتاب ((النهاية)) و ((جامع الأصول)) غير ابن الأثير صاحب ((الكامل)) و ((أسد الغابة)) ، وهو غير ابن الأثير صاحب ((المثل السائر)) ، فهم إخوة من علماء الجزيرة ، وأما ابن الأثير من علماء اليمن فهو غير المذكورين صنف تصنيفا) .

ثالثها : أن هناك اختلافاً فى عدد وأسماء مؤلفاتهم الكثيرة فى كتب الفهارس والأعلام والتراجم .. ولدى محققي كتبهم ، إذ لم يستقروا على رأي ، كما توجد تعليقات حول بعض مؤلفاتهم نشرت متفرقة في كتب ومجلات لم يطلع عليها الكثيرون .. فرأيت أن أحاول التوفيق بين تلك الأقوال وأن أجمع شتات تلك التعليقات ..

ولا أدعي أني أشبعت هذا الموضوع بحثا وتحقيقا ـ رغم ما بذلت ـ فذلك أمر صعب ، صعوبة الإعتماد على أكثر المصادر الموجودة ، بل صعوبة الحصول على مصادر

كافية ، ولكن يكفي أني بذلت جهدي وحاولت ما استطعت .. وما توفيقي إلا بالله .

كلمة حق

وإني أشكر الأستاذ عبد العزيز الرفاعي الذي شجعني على بذل جهدي المتواضع في خدمة تراثنا ، وقدم لي الكثير من النصائح والإرشادات ، وبفضله أتيحت لي الفرصة للإطلاع على أمهات الكتب والمراجع المختلفة والإحاطة بأسماء الكتب المؤلفة في شتى العلوم والفنون ، ولم تكن لدي قبل ذلك فكرة كاملة عنها ، بل إني أولعت بها ، ورأيت فيها العجب لكثرة ماتركه لنا الأولون مما لم نر منه إلا القليل ، فأكثره فقد .. ولفقده طرق يطول شرحها ـ تقدمت الإشارة لشيء منها ـ وإن القلب ليحزن ويتألم كلما تذكر ذلك .. ونظرة واحدة لـ ((فهرست ابن النديم)) .. و ((الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ)) للسخاوي .. و ((كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون)) لحاجي خليفة .. وذيوله .. و ((أكتفاء القنوع بما هو مطبوع)) لأدورد فنديك ، و ((معجم المطبوعات)) و ((معجم المؤلفين)) و ((الأعلام)) وغيرها .. تجعلك تدهش لكثرة المؤلفات النظرية ، والعلمية ، والفنية ، وتجزم بأنه لا يوجد فن لم يؤلف فيه آباؤنا الكتب الكثيرة ..

كما لا يفوتني هنا أن أشكر من ساعدني في الحصول على بعض المصادر ، في مكتبة جامعة الرياض ، وفي الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، وفي المكتبة التابعة لها ..

وأخيرا .. اقول كما قال ابن الأثير مجد الدين المبارك في مقدمة كتابه ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ((وأسأل من وقف على (كتابي) هذا ورأى فيه خطأ أن يصلحه وينبه عليه ويوضحه ، ويشير إليه حائزا بذلك مني شكرا جميلا ومن الله تعالى أجرا جزيلا ..))

واقول ـ أيضاً ـ كما قال ابن الأثير عز الدين علي المؤرخ في مقدمة كتابه ـ اللباب في تهذيب الأنساب ـ ((وأنا أسأل كل واقف على (كتابي) هذا أن يسأل الله تعالى المغفرة لي ولوالـدي ، وأن الله يتغمد إساءاتي بعفـوه ورحمته ، إنه جواد كريم) !

يا ناظراً فيما عمدت لجمعه ... عذراً فإن أخا الفضيلة يعذر
علماً بأن المرء لو بلغ المدى ... في العمر لاقى الموت وهو مقصر
فإذا ظفرت بزلة فافتح لها ... باب التجاوز فالتجاوز أجدر
ومن المحال بأن ترى أحداً حوى ... كنه الكمال ، وذا هو المتعذر

محمد الحمدان
الرياض – البـير
١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ
٦ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٣ م

تمهيد

جزيرة ابن عمر

قرب الموصل ، تقع مدينة تسمى جزيرة ابن عمر ـ أو الجزيرة العمرية ـ يحيط بها نهر دجلة من جميع جهاتها إلا جهة واحدة ، ثم حفرت قناة في هذه الجهة وأصبحت جزيرة يحيط بها الماء من كل جهاتها .. ولهذه الجزيرة نسب أبناء الأثير ووالدهم .

واختلف في سبب تسمية الجزيرة بجزيرة ابن عمر : وفي اسم الرجل المنسوبة إليه ، فقيل إنه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين ، وقيل ان رجلا من أهل برقعيد من أعمال الموصل بناها وهو عبد العزيز بن عمر فنسبت اليه .. وهناك من قال إنها جزيرة أوس وكامل ابني عمر بن أوس الثعلبي[1] ، كما ذكر بعضهم أن أول من عمرها هو الحسن ابن عمر بن خطاب التغلبي حوالي سنة ٢٥٠ هجرية[2] .

وقد بني حول هذه المدينة سور ، ويرى في شرقيها

---

(١) وفيات الأعيان ج : ٣ ص : ٣٥
(٢) معجم البلدان ج : ٣ ص : ١٠٢

جبل الجودي الذي يقوم في قمته مسجد نوح ، وذهب بعض المفسرين الى أن سفينة نوح استوت على هذا الجبل ، لقول الله تعالى « واستوت على الجودي »[1] . وقد كان لموقع هذه المدينة ــ الجزيرة ــ الجغرافي أثر في خصبها ونضرتها ، فاشتهرت بالجبن والعسل والجوز واللوز والسمن ، والخيل الجياد تربى في مراعيها الخضراء ، وبالقرب منها أديرة للنصارى كدير (عبدون) ودير (مارجرجس) .

وجزيرة ابن عمر هذه في شمال سورية الشرقي . أما الآن فهي في تركيا في قضاء زاخو على الحدود العراقية التركية[2] .

الإخوة الثلاثة

في هذه الجزيرة ــ المدينة ــ نشأ في أواخر القرن السادس وأول القرن السابع ، ثلاثة إخوة ، من أعلام تراثنا العربي الإسلامي : محدث ، ومؤرخ ، وأديب .. هم أبناء الأثير .. أكبرهم مجد الدين المبارك ، ذو المؤلفات الكثيرة ، التي أشهرها « النهاية في غريب الحديث والأثر »،

(١) ٤٤ سورة هود .
(٢) اعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ج : ٣ ، ص : ٦٢ ، ٦٣ .

و « جامع الأصول في أحاديث الرسول » . وأوسطهم « عز الدين علي » ؛ صاحب « الكامل في التاريخ » و « أسد الغابة في معرفة الصحابة » وغيرهما . وأصغرهم سناً ؛ ضياء الدين نصر الله صاحب الكتب الكثيرة ، في النقد والبلاغة وغيرهما ، كـ « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » و « الجامع الكبير في صناعة المنظوم في الكلام والمنثور » ... الخ .

وسأورد – على التوالي – ترجمة لكل منهم ، وبيانا لمؤلفاتهم ، ودراسة موجزة لها .. بعد أن أقول شيئا يتعلق بنشأتهم ، والجو الذي عاشوا فيه ، وصباهم .. وشيئاً عن والدهم ..

الجو الذي عاشوا فيه

لم تمدنا المصادر بمعلومات عن الجو العائلي الذي عاش فيه هؤلاء الإخوة الأفذاذ حين نشأتهم ، ومن كان وراء نبوغهم ؟ وهل هم أبناء أم واحدة ؟ وهل لتلك الأم يد في تنشئتهم تلك ؟ وسامح الله المؤرخين وأصحاب التراجم الذين ضنوا علينا بذلك .. حتى أحد الإخوة – علي المؤرخ – لم يقل في كتابيه « الكامل في التاريخ »

و « الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية » كلمة واحدة عن عائلتهم ونشأتهم ، والجو المنزلي الذي تربوا فيه .. باستثناء ماذكره « سركيس » في كتابه « معجم المطبوعات » من أن الإخوة الثلاثة أشقاء .. دون أن يذكر مصدره في ذلك[1] .

والدهم .. أثير الدين

والد أبناء الأثير هو أثير الدين[2] أبو الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري ..

ولا تحدثنا المراجع كثيرا عنه ، سوى ماذكره ابنه ــ عز الدين علي المؤرخ ــ من تنف عنه ، في مواطن متفرقة من كتبه ، في مناسبات مختلفة .. إلا أن المصادر أجمعت ــ أو كادت ــ على أنه كان رجلا عاقلا ، ذا مكانة في الدولة ، مقربا من آل زنكي ــ أتابكة الموصل ــ ، وكان

(١) ص : ٣٤ ــ ٣٥

(٢) ويدعى احيانا ب « الأثير » كما ذكره ياقوت وغيره ، ولعله اختصارا لأثير الدين ، وقيل انه اكتسب هذا اللقب من صحبته للوزير جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي الملقب بالجواد ، وزير عماد الدين زنكي ملك الموصل . والأثير في اللغة الخليص والمكرم . وقد جاء في الأخبار أن روح بن زنباع الجذامي ، كان يقرى الاضياف ، وكان مسامرا لعبد الملك بن موان أثيرا عنده ومؤنثه الأثيرة قال أبو الفرج في اخبار فريدة صاحبة الواثق بالله كانت أثيرة عنده .

الأتابك ووزيره يغضبان عليـه أحيانا لتساهله في الجباية ثم مايلبثان أن يتراجعا بعد أن يعرفا السبب ، وأن ذلك نابع من أمانته ونصحه للحكام وللمواطنين على السواء[1].

(وكان أثير الدين يجمع الى ذلك الحب لمواطنيه ، والإخلاص لرؤسائه وحسن الـرأي والنصيحة .. العفة وعدم التكالب على المال . وكان لكـرم خلقه ، وحسن تدبيره ، وولائه ـ كان لكل ذلك أثـره في نفس أتابك الموصل ، إذ قويت ثقته به ، وأصبح يطمئن إليه فيما يكله إليه من أعمال ويجزيه عنها خير الجزاء شهادة منه بالرضا والقبول ، وقويت تلك الصلة فولاه الخزانة العامة كمـا يستخلص مما نقله عز الدين .

وهكذا مكن أثير الدين لنفسه ولأبنائه من بعده عند آل زنكي وصار أتابكة الموصل منهم يثقون ببيت الأثير ، وعرف الرجل ووصل الى مرتبة من الجاه والسلطان لا تقل عن الوزارة)[2] .

ولما ولي جزيرة ابن عمر كان بارا بأهلها ، رحيما بهم ، محبوباً لديهم .. إلا انه لـم يعرف لـه عناية بالعـلم أو تصنيف فيه .

(١) انظر « التاريخ الباهر » ص : ١٤٧

(٢) ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد ص : ٣٢ ـ ٣٤

وصرح أثير الدين بتوليه ديوان الجزيرة في حكاية حكاها لابنه عز الدين قال « جاءنا كتاب فخر الدين الى الجزيرة وأنا أتولى حينئذ ديوانها .. الخ»[1] .

ولا نعلم سنة وفاة أثير الدين حيث لم يذكرها عزالدين ولاغيره من المؤرخين أو أصحاب التراجم .

بيت الأثير

ويظهر مما تقدم أن بيت الأثير كان بيت جاه وثراء ، يدل على هذا أيضا ماذكره عز الدين على المؤرخ من أن أسرته كانت تملك عدة بساتين بقرية العقيمة من أعمال جزيرة ابن عمر ، اضافة الى انها كانت تملك قرية بأسفل الموصل يقال لها قصر حرب .

كذلك كان والد أبناء الأثير يشتغل بالتجارة الى جانب وظيفته ، حيث يذكر عز الدين خبر استيلاء الصليبيين ـ في سنة ٥٦٧ ـ على مراكب للمسلمين قادمة من مصر الى الشام ، وكان لوالده فيها تجارة . ويذكر أيضا في أخبار سنة ٥٨٨ أن الفرنج استولوا على قافلة برية للمسلمين

---

(١) التاريخ الباهر ص : ١٤٧ .

بنواحي الخليل ، وكان لابن الأثير ــ أو لوالده ــ تجارة في هذه القافلة فنهبت[١] .

العلاقة بين الإخوة الثلاثة

وكما لم تمدنا المصادر بمعلومات عن الجو العائلي الذي عاش فيه هؤلاء ، فإنها بالتالي لم تقل شيئاً عن العلاقة بين الإخوة الثلاثة ، سوى ماذكره الذهبي من أنه بين ضياء الدين نصر الله ، وبين أخيه عز الدين مقاطعة كلية[٢] ومما يؤيد وجود مقاطعة بين الإثنين أن عز الدين علي يتكلم دائماً عن أخيه مجد الدين المبارك ويترجم له ، ويروي عنه بعض الوقائع ، ويدعو له ، ويترحم عليه ، بينما لم يشر ــ من قريب أو بعيد ــ الى أخيه ضياء الدين .

وياقوت في ترجمته لمجد الدين قال ــ أكثر من مرة ــ حدثني عنه أخوه عز الدين .

وذكر محققا « الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور » ــ في كلامهما على قصة ضياء الدين نصر الله مع « الأفضل » ، وما حصل بسبب نصر الله من الفتن ــ أنهما لم ينقلا من « الكامل » لعز الدين « لأنه

---

(١) مقدمة محقق التاريخ الباهر ص : ٨ ــ ٩ .
(٢) العبر في خبر من غبر ج : ٥ ، ص : ١٥٦

طوى ذكر أخيه نصر الله تعصباً له مع أنه رأس الفتنة »[1]

وهـذا الحكم القاسي مـن الدكتورين ـ مصطفى جـواد وجميل سعيد ـ والجزم به يحتاج الى دليـل • فقد يكون السبب كما ذكراه ، وقـد يكون بسبب تلك المقاطعة الكلية بين الأخوين التي ذكرها الذهبي •• بـل قد يكون لسبب آخر يعلمه الله ! •

بعض ماقيل فيهم

ولندرة وجود إخوة ثلاثة نوابغ مثل هؤلاء فقد أثنى عليهم الكثيرون ، وعجبوا من علمهم وفضلهم ، مثل أحمد ابن مصطفى المعروف بـ « طاش كبرى زاده » في كتابـه « مفتاح السعادة » حيث قال (وكان الإخوة الثلاثة كلهم فضلاء ، نجباء رؤساء ، أرباب التصانيف المقبولة • وقلما يتفق إخوة مثل هؤلاء)[2] •

وعبـد القادر أحمـد طليمات في مقدمته لكتـاب « التاريخ الباهر » علق عليهم بقوله (وقد اتجه كل من الإخوة الثلاثة اتجاها خاصا في حياتهم العلمية ، فقد اختار « مجد الدين » العلوم الدينية ، واختار « ضياء الدين »

---

(١) ص : ٢٢

(٢) ج : ١ ص : ١٧٩ •

الأدب ، أما عز الدين فقد اختار التاريخ ، فاشتهر كل منهم في ميدانه ، فقد نال مجد الدين شهرته في مؤلفاته في الحديث والتفسير ، والكتابة ، والرسائل ، واشتهر ضياء الدين بمؤلفاته الأدبية ، وفي مقدمتها « المثل السائر » . أما عز الدين فإنه اشتهر بمؤلفاته التاريخية ، وفي مقدمتها « الكامل »)[1] .

أما محققا « النهاية » لابن الأثير مجد الدين المبارك فقد قالا في هذا الصدد (« ابن الأثير » اسم يعرفه كل من اتصل بالمكتبة العربية ، محدثا أصوليا ، أو مؤرخا نسابة ، أو كاتبا بليغا ، ولم يعرف لرب الأسرة عناية بالعلم أو تصنيف فيه ، ولكنه أنجب عباقرة ثلاثة ، كان لهم في تاريخ الثقافة العربية شأن أي شأن . لقد اندفع كل منهم في الطريق الذي اختاره يشكل معالم نهضتنا الفكرية ، ويثري جوانبها بإنتاجه الخصب الوفير .. وقد اختار مجد الدين الحديث والفقه ، وآثر عز الدين التاريخ والأنساب ، بينما مال ضياء الدين الى الكتابة والبيان)[2] .

وللدكتور (سعيد عبد الفتاح عاشور) أستاذ تاريخ

---

(١) ص : ٩

(٢) طبعة ١٣٨٣ هـ ص : ١٢

العصور الوسطى المساعد بكليـة الآداب بجامعة القاهرة جملة قالها عن بني الأثير ونصها : (كانوا ثلاثة إخوة أشتهر كل منهم باسم « ابن الأثير » ، وعرفوا جميعا بالعلم والفضل، مما خلـد اسمهم بـين أعلام العرب ، وأعاظم مؤلفيهـم وعلمائهم)[1] .

وأخيرا .. فإن الشيخ حمد الجاسر في الجزء السادس مـن السنة الخامسة من مجلة العرب ، الصادر في شـهر ذي الحجة من عام ١٣٩٠ هـ قال عنهم : (شجرة مباركة أثمرت ثمارا طيبة في حقل الثقافة العربية ، هذه الشجرة عربية الأصـل والموطن ، فجذورها تمتد الى شـيبان ، وموطنها الموصل في العراق . من هـذه الشجرة المباركة عرف ثلاثة من العلماء يدعى كل واحد منهم بـ «ابن الأثير») ــ وبعد أن أورد ترجمة قصيرة لكل منهم وأشهر مؤلفاته قال ــ ومن لطائف ماقيل فيهم :

وبنو الأثـير ثلاثـة ... قـد حاز كل مفتخر
فمؤرخ جمع العلو ... م ، وآخر ولي الوزر
ومحدث كتب الحديـث ... له «النهاية والأثر»[2]

---

(١) تراث الانسانية جـ : ٢ ، ص : ٩٠٦

(٢) ص ٥٢١ ـ ٥٢٢ من بحث بعنوان « منال الطالب » .

ابن الأثير مجد الدين المبارك
المحدث

الاول ـ ابن الاثير مجد الدين المبارك ـ المحدث

٥٤٤ ـــ ٦٠٦ هـ

١١٥٠ ـــ ١٢١٠ م

كنيته : أبو السعادات ، لقبه : مجد الدين ، واسمه المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بـ « ابن الأثير » الجزري نسبة الى جزيرة ابن عمر ــ ثم الموصلي ، الإربلي ، الشافعي ، المحدث ، اللغوي الأصولي ، العالم المشهور ، الذي جمع بين علوم العربية والقرآن ، والنحو ، واللغة ، والفقه ، والحديث •

ولد في أحد الربيعين بجزيرة ابن عمر ، وبها تلقى دروسه الأولى ، ثم انتقل الى الموصل ، مع والده وأخويه عز الدين علي ، وضياء الدين نصر الله (الآتي ذكرهما) •

وفي الموصل أقبل على ألوان المعرفة ينهل منها ، فقرأ الأدب والنحو على أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ، وعلى أبي الحرم مكي بن ريان الماكسيني المتوفى سنة ٦٠٣ هـ ، وأخذ النحو وسمع الحديث

مـــن أبي بكر يحيى بن سعدون بن تمام القرطبي النحوي اللغوي المقرىء الأديب المتوفى ســـنة ٥٦٧ هـ بالموصل ، وسمع الحديث من خطيب الموصل أبي الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي المتوفى سنة ٥٧٨ هـ ، وقدم بغداد في طريقه للحج فسمع بها من أبي القاسم صاحب ابن الخل ، وابن كليب ، وعبد الوهاب بن سكينة ، وغيرهم .

وقـــد روى عنـــه ولـــده[١] ، والشهاب الطوسي ، وفخر الدين بن البخاري ، والقفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ .

تولى ـ المبارك ـ الخزانة لسيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي ، ثم ولاه ديوان الجزيرة وأعمالها ، ولما عاد الى الموصل ناب في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الاصبهاني ، ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز[٢] بالموصل أيضا فنال عنده درجة رفيعة ، فلما قبض على مجاهد الدين هذا[٣] اتصل بخدمة أتابك[٤] عز الدين مسعود بن مودود الى أن توفي

(١) لم يذكر ابن السبكي ـ الذي أورد ذلك ـ اسم ولده هذا .

(٢) كان يحكم البلاد من قبل سيف الدين غازي .

(٣) لقد وهم الشيخ محمد حامد الفقي ـ رحمه الله ـ في مقدمة تحقيقه لكتاب « جامع الأصول » حين قال في ترجمة مجد الدين : إن الأمير مجاهد الدين قبض على ابن الاثير وسجنه إثر وشاية كاذبة ، فالمقبوض عليه هو مجاهد الدين نفسه ، قبض عليه عز الدين مسعود لما تولى بعد أخيه سيف الدين .

(٤) أتابك : لفظ تركي مركب من كلمتين « آتا » أو « آطا » ومعناه « أب » و « بك » معناه « أمير » فيصبح اللقب « الأب الأمير » .

عز الدين فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه ، فصار مقربا لـديه ، بحيث أن السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه ، لأنــه أقعد في آخر زمانه فكانت الحركة تصعب عليه فكان يجيئه بنفسه ، أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل ، ذكر هذا ياقوت[1] أما ابن خلكان وغيره فيقولون إن المبارك أصيب بمرض « النقرس »[2] الذي كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقاً[3] ، وأقام في داره يزوره الأكابر والعلماء وأنشأ رباطا بقرية من قرى الموصل تسمى « قصر حرب »[4] ، ووقف أملاكه عليه وعلى داره

---

(١) معجم الأدباء جـ : ١٧ ص : ٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) تفضل الـدكتور اسماعيل محسن الدراجي ـ طبيب الأمراض الجلدية بمستشفى الرياض المركزي ـ (عراقي .. من جماعة ابن الأثير) فعرف مرض النقرس بأنه يسمى داء الملوك ، وهو يصيب اليدين والرجلين ، وسببه ازدياد حامض البوليك بالدم وعدم تخلص الجسم منه ، وذلك قد يكون بسبب نقص وراثي في بعض الانزيمات التي تساعد على التخلص من حامض البوليك ، أو إصابة الكلى ببعض الأمراض ، وقد تزداد نسبة حامض البوليك بالدم نتيجة الزيادة أو الإفراط في أكل اللحم ـ ولهذا سمي بداء الملوك .

(٣) وكذا ذكر ابن العماد في شذرات الذهب وأضاف (وصار يحمل في محفة ، وعرض له فالج أبطل نصفه) وموضوع الفالج ذكره الذهبي أيضا ..

(٤) جاء ذكر سبب تسمية هذه القرية بـ « قصر حرب » في « الكامل » فقال عز الدين ابن الأثير « وفيها ـ سنة ١٤٥ هـ ـ عزل المنصور مالك بن الهيثم عن الموصل بابنه جعفر بن أبي جعفر المنصور وسير معه حرب بن عبد الله وهو من أكابر قواده وصاحب الحربية ببغداد ، وبنى بأسفل الموصل قصرا وسكنه فهو يعرف الى اليوم بقصر حرب ـ وفيه ولدت زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد ، وعنده يومنا هذا قرية كانت ملكا لنا فبنينا فيها رباطا للصوفية وقفنا القرية عليه وهي مـن أنزه المواضع وأحسنها وأثر القصر باق بها الى الآن » .

التي يسكنها بالموصل .. وصنف كتبه في هذه الفترة فإنه تفرغ لها .. وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الاختيار والكتابة[1] .

تعففه وتواضعه وشغفه بالعلم

ومما يدل على تواضع مجد الدين وزهده في المناصب قول مجد الدين نفسه : (لقد ألزمني نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه حتى غضب مني وأمر بالتوكيل بي ، قال فجعلت أبكي ، فبلغه ذلك ، فجاءني وأنا على تلك الحال فقال لي : أبلغ الأمر الى هذا ؟ ما علمت أن رجلا ممن خلق الله يكره ما كرهت ، فقلت أنا رجل كبير وقد خدمت العلم عمري ، واشتهر ذلك عني ، وأعلم أنني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت أن أؤدي حقه ، ولو ظلم حراث فيضيعة من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه إليّ ، ورجعت أنت وغيرك باللائمة علي ، والملك لا يستقيم إلا بالتسمح في العسف ، وأخذ هذا الخلق بشدة ، وأنا لا أقدر على ذلك ..) وقد أعفى مجد الدين بعد هذا الاعتذار ولما أخبر والده وأخاه ــ عز الدين ــ لاماه على الإمتناع فلم يؤثر اللوم عنده أسفا[2] .

(١) وفيات الأعيان ج : ٣ ص : ٢٨٩
(٢) معجم الأدباء ج : ١٧ ص : ٧٣

وثمة حادثة أخرى تدل على ماذكرنا •• وهي أنه لما أقعد جاء رجل مغربي ، والتزم بعلاجه وأنه لا يأخذ أجرا إلا بعد برئه ، فاستمر يداويه حتى تحسنت حاله ولانت رجلاه ، وصار يتمكن من مدهما ، بل أشرف على البرء •• وفي هذه الأثناء طلب من أخيه عز الدين أن يعطي الرجل مايرضيه ويصرفه ، ولما أبدى أخوه استغرابه لهذا القرار ، واعتراضه عليه أوضح له مجد الدين أن وجود المرض يسبب له راحة من الوظيفة وأصحاب الوظيفة ، وما يناله بسبب ذلك من الذل والقيود والسعي الحثيث ، وطلب من أخيه أن يدعه يعيش بقية عمره حراً سليماً من الذل • وهكذا كان فقد انصاع أخوه لرغبته وصرف « الطبيب »[1] •

ومما يتصل بموضوعنا مايحدثنا به مجد الدين نفسه في مقدمة كتابه « جامع الأصول » عن ولعه بالعلم وشغفه به ، حيث يقول : (مازلت منذ ريعان الشباب ، وحداثة السن ، مشغوفا بطلب العلم ، ومجالسة أهله ، والتشبه بهم حسب الإمكان ، فبذلت الوسع في تحصيل ماوفقت له من أنواعه ، حتى صارت فيّ قوة الإطلاع على خفاياه ، وإدراك خباياه ، ولم آل جهدا ، والله الموفق في إكمال الطلب وابتغاء

(١) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٩:

الأرب ، الى أن تشبثت من كل بطرف تشبهت فيه باضرابي ، ولا أقول تميزت به على أترابي .... الخ)[1] .

وأخيراً .. فان عز الدين علي « المؤرخ » قال عن أخيه مجد الدين كلمات صادقة لا ينبغي اغفالها هنا .. وهي : (كان عالما في عدة علوم ، منها : الفقه والأصولان ، والنحو والحديث ، واللغة . وله تصانيف مشهورة في التفسير ، والحديث ، والنحو والحساب ، وغريب الحديث ، وله رسائل مدونة ، وكاتبا مفلقاً يضرب به المثل ذا دين متين ، ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضي عنه ؛ فلقد كان من محاسن الزمان ، ولعل من يقف على ماذكرته يتهمني في قولي ، ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أني مقصر)[2] .

مكانته عند ملوك وأمراء زمانه

ويظهر جليا أن المبارك كان مقربا لدى ملوك وأمراء عصره ، محببا إليهم ، يقدرونه ويستشيرونه .. وبعض ماتقدم يدل على هذا .. ويدل عليه أكثر ماذكره أخوه عزالدين ـ في عدة مواضع من كتابه « التاريخ الباهر »[3] .

(1) طبعة محمد حامد الفقي ص : ١٢ والطبعة الأخيرة المحققة ص : ٣٥
(2) الكامل في التاريخ ج : ٩ ص : ٣٠٢
(3) انظر الصفحات ١٨٥ ـ ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠١ .

ولندع ــ صاحبنا ــ يروي لنا طرفاً من أدبه في قوله :

(كنت أشتغل بعلم الأدب على الشيخ ابن الدهان بالموصل وكان كثيرا ما يأمرني بقول الشعر وأنا أمتنع من ذلك ، قال فبينما أنا ذات ليلة نائم رأيت الشيخ في النوم ، وهو يأمرني بقول الشعر فقلت له : ضع لي مثالا أعمل عليه فقال :

جب الفلا مدمناً إن فاتك الظفر   وخد خد الثرى والليل معتكر

فقلت :

فالعز في صهوات الخيل مركبه   والمجد ينتجه الإسراء والسهر

فقال لي أحسنت ، هكذا فقل ، فاستيقظت فأتممت عليها نحو العشرين بيتا)(1) .

وكتب الى صديق له في صدر كتاب والشعر له :

وإني لمهد عن حنين مبرح   إليك على الأقصى من الدار والأدنى
وإن كانت الأشواق تزداد كلما   تناقص بعد الدار واقترب المغنى
سلاما كنشر الروض باكره الحيا   وهبت عليه نسمة السحر الأعلى
فجاء بمسكي الهوا متحليا   ببعض سجايا ذلك المجلس الأسمى

ومن شعره :

عليك سلام فاح من نشر طيبه   نسيم تولى بثه الرند والبان
وجاز على أطلال مي عشية   وجاد عليه مغدق الوبل هتان
فحملته شوقا حوته ضمائري   تميد له أعلام رضوى ولبنان(1)

(1) معجم الأدباء ج ١٧ ، ص : ٧٤ و ٧٥ .

ومن شعره القليل ـ أيضا ما أنشده للأتابك صاحب الموصل وقد زلت به بغلته :

إن زلت البغلة من تحته　　فإن في زلتها عذرا
حملها من علمه شاهقاً　　ومن ندى راحته بحرا[1]

وذكر عز الدين أن أخاه مجد الدين كان قليل الشعر لم يكن له به تلك العناية[2] .

(1) وفيات الأعيان جـ : ٣ ص : ٢٨٩ .
(2) معجم الأدباء جـ : ١٧ ص : ٧٦ .

مؤلفاته

١ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر
« أو النهاية الأثيرية »

أخذ مادتها من الغريبين : غريب القرآن والحديث ، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي المتوفى سنة (٤٠١ هـ) وغريب الحديث ، لأبي موسى الاصبهاني . ورتبه على حروف المعجم بالتزام الأول والثاني من كل كلمة وإتباعهما بالثالث .

(وقد بدأت جهود العلماء في شرح غريب الحديث متواضعة على يد أبي عبيدة معمر بن المثنى ثم أخذت تخطو نحو الكمال حتى انبعثت بعمق وشمول على يد ابن الأثير .

لقد انتهى الى ابن الأثير حصاد طيب في شرح غريب الحديث أفاد منه ، وأربى عليه في استقصاء معجز ، ودأب مشكور ، بحيث جاء كتابه بحق النهاية في هذا الفن الشريف ، ولم تندّ عنه إلا أحاديث يسيرة ذكرها السيوطي في « الدر النثير » وفي « التذييل والتذنيب » .

وقد ظهرت ثقافة ابن الأثير المتعددة الجوانب في هذا

الكتاب ، فهو لم يقف عند حدود المادة اللغوية في شرح غريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآثار الصحابة والتابعين •• بل نراه يناقش مسائل فقهية ، مثل ما ورد في النهي عن جلود السباع ، ويثير قضايا صرفية ، ويحاول التوفيق بين الاحاديث المتعارضة في الظاهر ، مثل ما ورد في الرقية كل ذلك في ايجاز واف بليغ •

ولم يصنف أحد في غريب الحديث بعد ابن الأثير سوى ابن الحاجب المتوفى سنة (٦٤٦ هـ) ، وانحصرت الجهود بعد ذلك في التذييل على النهاية واختصارها •

فممن ذيل عليها صفي الدين محمود بن أبي بكر الأرموي المتوفى سنة (٧٢٣ هـ) •

وممن اختصرها الشيخ (علي بن حسام الدين الهندي الشهير بالمتقى) المتوفى سنة (٩٧٥ هـ) • وكذلك (عيسى بن محمد الصفوي المتوفى سنة (٩٥٣ هـ) في قريب من نصف حجمها)[1] •

واختصر « النهاية » جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) وسمى مختصره « الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير » •

---

(١) مقدمة محققي « النهاية » ص : ٨٥٧ .

وقد طبع « الدر » بهامش النهاية ، ثم رأى السيوطي أن يفرد زياداته على النهاية في كتاب سماه « التذييل والتذنيب على نهاية الغريب[1] » .

وقد نظم « النهاية » شعرا عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن محمد بن بردس البعلي الحنبلي الحافظ المتوفى سنة (٧٨٥هـ)[2] .

طبعات « النهاية »

(طبع الكتاب أربع طبعات حتى الآن :

الأولى : بطهران سنة ١٢٦٩ هـ ، طبع حجر ، وتقع في مجلد واحد ، في ١٩٩ ورقة .

الثانية : بالمطبعة العثمانية سنة ١٣١١ هـ ، وهي مضبوطة بالشكل الكامل ، وتقع في أربعة أجزاء ، وعلى هامشها الدر النثير للسيوطي ، وهي بتصحيح عبد العزيز

---

(١) يوجد بآخر نسخة من نسخ النهاية بدار الكتب المصرية برقم (٢٠٩٤ حديث) وهو في سبع ورقات . ومنه نسخة ببرلين برقم ١٦٦٠ .

(٢) منه نسخة ببرلين تحت رقم ١٦٥٩ باسم « الكفاية في نظم النهاية » ، ونسخة بخزائن أوقاف العراق ، وصفها محمد أسعد طلس بأنها نسخة نفيسة أولها :

الحمد لله العلي الشان ... ذي العز والقدرة والسلطان
ثم صلاة الله قد جاءت على ... خير الأنام من له القدر علا

وآخرها : تم الكتاب ولله الحمد بكرة نهار سابع عشر جمادى الآخرة ـ سنة ٧٨٥ هـ .

ابن اسماعيل الأنصاري الطهطاوي .

الثالثة : بالمطبعة الخيرية سنة ١٣١٨ هـ ، وتقع في أربعة أجزاء ، وبأسفل الصفحات « الدر النثير » ، وذكر في الصفحة الأولى من الجزء الأول أن بهامشها كتابان ، أحدهما : « مفردات الراغب الاصفهاني » في غريب القرآن . وثانيهما : « تصحيفات المحدثين » في غريب الحديث ، للحافظ أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري ، ولكن لم يطبع بالهامش سوى « مفردات الراغب » .

وأدق هذه الطبعات طبعة العثمانية ، وهي على ما بذل فيها من جهد لم تسلم من التصحيف والتحريف ، وجاء معظم ضبطها بحسب الشائع الدائر على الألسنة)[1] .

■ وقام طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي بتحقيق هذا الكتاب ، وبذلا جهودا جيدة في ذلك ، وكتبا مقدمة في عشرين صفحة ، طبع الكتاب بواسطة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ــ عيسى البابي الحلبي وشركاه ــ عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣م) في خمسة مجلدات ، اشترك المحققان في كتابة المقدمة ، وفي تحقيق المجلدات الثلاثة الأول ، أما الرابع والخامس فيظهر أن محمود محمد الطناحي انفرد بتحقيقهما فلم يوضع فيهما اسم زميله .

(١) مقدمة محققي النهاية ص ١٨ .

٢ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول

جمع فيه بين صحيحي البخاري ، ومسلم ، وموطأ الإمام مالك ، وسنن كل من : أبي داود ، والنسائي ، والترمذي ، عمله على حروف المعجم ، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ، ووصف رجالها ، ونبه على جميع مايحتاج إليه منها .. قال عنه ياقوت : « أقطع قطعاً أنه لم يصنف مثله قط ، ولا يصنف » وقال انه في عشر مجلدات[١] .. أما ابن خلكان فوصفه بأنه « وضع على كتاب (رزين بن معاوية الأندلسي) إلا أن فيه زيادات كثيرة عليه »[٢] .

ذكر المؤلف أنه بنى كتابه على ثلاثة أركان ، الأول في المبادىء ، الثاني في المقاصد ، الثالث في الخواتيم ، وأورد في الأول مقدمة وأربعة فصول ، وذكر في الفصل الأول انتشار علم الحديث ومبدأ جمعه وتأليفه ، وفي الفصل الثاني ؛ اختلاف أغراض الناس ومقاصدهم في تصنيف الحديث ، وفي الفصل الثالث : اقتداء المتأخرين بالسابقين

---

(١) معجم الأدباء ج : ١٧ ص : ٧٦

(٢) وفيات الأعيان ج : ٣ ص : ٢٨٩ .

وسبب اختصار كتبهم وتأليفها ، وفي الفصل الرابع خلاصة الغرض من جمع الكتاب[1] .

مقتطفات من مقدمة المؤلف :

«مازلت في ريعان الشباب وحداثة السن مشغوفا بطلب العلم .... ما زلت أتتبع كتب الحديث ، وأطلبها ....

لما وقفت على هذه الكتب[2] .... ورأيت كتاب (رزين)[3] هو أكبرها وأعمها حيث حوى الكتب الستة التي هي أم كتب الحديث وأشهرها في أيدي الناس .... فأحببت أن أشتغل بهذا الكتاب الجامع لهذه الصحاح ، فلما تتبعته وجدته ــ على ماتعب به ــ قد أودع أحاديث في أبواب ، غير تلك الأبواب أولى بها ، وكرر فيه أحاديث كثيرة ، وترك أكثر منها ، فجمعت بين كتابه وبين مالم يذكره في الأصول الستة ، ورأيت في كتابه أحاديث كثيرة لم أجدها في الأصول لاختلاف النسخ والطرق .

فناجتني نفسي أن أهذب كتابه ، وأرتب أبوابه ، وأضيف إليه ما أسقطه من الأصول وأتبعه شرح مافي

(١) كشف الظنون ج : ١ ص : ٥٣٥
(٢) يشير الى كتب كل من أبي بكر البرقاني ، وأبي مسعود الدمشقي ، والحميدي ورزين بن معاوية .
(٣) اسم كتابه : « التجريد للصحاح الستة » .

الأحاديث من الغريب والإعراب والمعنى •

فشرعت في الجمع بين هذه الكتب الستة التي أودعها رزين رحمه الله كتابه هذا بعد أن أخذت فيه رأي أولي المعارف والنهى ، وأرباب الفضل والذكاء •

هذا مع كثرة العوائق الدنيوية ، وازدحام العوارض الضرورية ، وتكاثر الفوادح النفسانية ، وضيق الوقت عن فراغ البال لمثل هذا الهم العزيز •

ولولا أن الباعث عليه ديني ، والغرض منه أخروي لكانت القدرة على الإلمام به واهية[1]) •

■ (ولهذا الكتاب العظيم مختصرات •• منها :

١ ـ مختصر أبي جعفر محمد المروزى الاسترابادي ، وهو على النسق الذي وضع الكتاب عليه ، أتمه في ذي القعدة سنة ٦٨٢ هـ •

٢ ـ مختصر شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم ابن البارزى الحموي الشافعي المتوفى سنة (٧٣٨ هـ) ، جرده عما زاده على الأصول من شرح الغريب والإعراب والتكرار، وسماه : (تجريد الأصول) •

٣ ـ مختصر الشيخ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي

(١) ص : ١١ـ٢١ من الطبعة الأولى ، و «٤٩» وما بعدها من الطبعة الجديدة.

الـدمشقي المتـوفى سنة (٧٦١ هـ) ، واشـتهر بـ « تهذيب الأصول » .

٤ ــ مختصر الشيخ عبـد الرحمن بن عـلي الشهير بابن أبي الديبع الشيباني اليمني المتوفى سنة (٩٥٠ هـ) وهـو أحسن المختصرات ، سماه « تيسير الوصول الى جامع الأصول »[١] .

٥ ــ وللشيخ مجد الـدين أبي طاهر محمد بن يعقـوب الفيروز أبادي المتوفى سنة (٨١٧ هـ) زوائد عليـه سماها « تسهيل طريق الوصول الى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول » .

٦ ــ وفي غريبه كتاب لمجد الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة (٦٩٤ هـ) .

٧ ــ ومختصر الشيخ أحمدبن رزق الله الأنصاري الحنفي)[٢]

■ طبع «جامع الأصول» بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة بإشراف (عبد المجيد سليم) مفتي الديار المصرية وشيخ الجـامع الأزهر سابقاً ، وتصحيح محمد حامـد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ــ رحمه الله ــ وذلك

---

(١) طبع في كلكتا عـام ١٢٥٢ هـ .
(٢) كشف الظنون جـ : ١ ص : ٥٣٥ ــ ٥٣٧ .

على نفقة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، في ثلاثة عشر مجلداً عن نسخة خطية موجودة بدار الكتب المصرية[1] ، وفي المجلد العاشر خطأ في تاريخ ولادة ابن الأثير حيث وضعت (٥٥٤ هـ) وصحتها (٥٤٤ هـ) ، وفي المجلد الثاني عشر كتبت خطأ (٤٥٥ هـ) .

■ تولى عبد القادر الأرناؤوط ـ مؤخرا ـ تحقيق نصوص ـ جامع الأصول ـ وتخريج أحاديثه والتعليق عليه . ونشرته ووزعته كل من مكتبة الحلواني ، ومطبعة المداح ، ومكتبة دار البيان .

اعتمد المحقق على تسع نسخ خطية بدار الكتب الظاهرية بدمشق ، منها ماهو ناقص ، ومنها ماهو كامل حسبما أوضحه هناك .. وأشار المحقق الى الطبعة التي صححها الشيخ محمد حامد الفقي (لم يهملها كما فعل محققا المثل السائر وقال عنها إنها لا بأس بها ، إلا أنها غير تامة ، وأن مالم يطبع منها يوازي خمس الكتاب تقريبا) .

وهذه الطبعة في أحد عشر مجلدا تبلغ صفحاتها قرابة ثمانية آلاف صفحة ، ابتدأت طباعتها عام ١٣٨٩ هـ وانتهت عام ١٣٩٤ هـ . ولما كان محقق الكتاب وعد باستخراج

(١) ذكر الأرناؤوط أن هذه الطبعة ناقصة وفيها تصحيف .

فوائد من الأحاديث ، فقد جاءت تلك الفوائد في أربعة مجلدات فقط هي : الرابع والخامس والسابع والتاسع ، وطباعة الكتاب جيدة جدا على ورق أبيض حسن • وإن كان به نقص فهو خلوه من فهارس للاعلام •• وغيرها •

وقال الأرناؤوط إنه تولى تصحيح النص وضبطه ومقابلته على مابيده من الأصول الخطية ، والأصول الستة التي جمع المؤلف كتابه منها ، وأنه بذل الجهد في ترقيمه وتفصيله ، وألمع بمذاهب الأئمة المجتهدين ومناحي أقوالهم ، وذكر جملا نافعة من الفوائد المستنبطة من الأحاديث ، وتتبع الأحاديث التي لم يلتزم أصحابها إخراج الصحيح ، كأبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وتكلم على كل حديث من جهة الصحة والضعف ، لأن ابن الأثير لم يتعرض لذلك ، مع أن معرفة كون الحديث صحيحاً أو ضعيفاً أمر هام يوقف القارىء على جلية الأمر ، ويتيح له وضع الأسس الصحيحة والتفريعات القائمة على نهج السلامة •

كما ذكر أنه قد استشهد بأحاديث صحيحة من خارج الكتاب ، مما هو مدون في المسانيد والكتب كلما دعت الحاجة الى ذلك •• وختم مقدمته بقوله « وقد يكون في بعض مانذهب إليه من التحقيق شيء من الخطأ ، فما يخلو

عمل إنسان غير معصوم •• من الخطأ ، فالمأمول من أهل العلم والفضل ممن له بصر ومعرفة في هذا الفن الشريف ، أن لا يبخلوا علينا بملاحظاتهم أو استدراكاتهم أو تعقيباتهم ، فإننا سنقبل كل ذلك ، ونرحب به ، ونضعه في مواضعه »[١]

٣ ـ المرصع في الآباء والأمهات والأبناء والبنات والأذواء والذوات

سماه ياقوت « كتاب البنين والبنات ، والآباء والأمهات، والأذواء والذوات » وقال أنـه مجلد ، وعلق ناشر معجم الأدباء تحته « في هامش الأصل هو كتاب المرصع »[٢] ، وقال عنه « سركيس » في « معجم المطبوعات » (وقف على طبعه سيبولد الألماني ، طبع في ويمار سنة ١٨٩٦م ـ وأضاف ـ « انظر المرصع في الأدبيات لضياء الدين ابن الأثير » وهناك قال : (المرصع في الأدبيات استانه ١٣٠٤هـ[٣] ، وعلى الصفحة الأولى من هذه الطبعة كتب « دخي نشر أولنمشدر » أي أنه الطبعة الأولى ، وطبع في ويمار «فرنسا» سنة ١٨٩٦م موسوماً بـ « المرصع في الآباء والأمهات ونسب الى أبي السعادات ابن الأثير)[٤] •

---

(١) ص : ١٠ (٢) معجم الأدباء ج : ١٧ ص : ٧٧

(٣) طبعة استانة هذه لم أعثر لها على أثر ولم يذكرها سوى سركيس ومحمد أسعد طلس • (٤) ج : ١ ص : ٣٤-٣٦ •

وجاء ذكر « المرصع » في هـــدية العارفين هكـــذا « البنـــين والبنات والآباء والأمهات من رجال الحديث » وفي موضع آخر « المرصع في اللغة » . وذكره طاش كبرى زاده بقوله : « البنين والبنات والآباء والأمهات والأذواء والذوات » . وقال عنه السيوطي في « بغية الوعاة » (البنين والبنات والآباء والأمهات والأذواء والذوات ، وقفت عليه ، ولخصت منه الكنى في كراسة)[1] . وفي كشف الظنون لحاجي خليفة ورد اسمه هكذا « البنين والبنات من رجال الحديث » ، وفي موضع آخر « كتاب الآباء والأمهات »[2].

وأكاد أجزم أن الكتاب واحد وإن اختلفوا في ذكر اسمه ، ومؤلفه مجد الدين المبارك ، وقد يكون عدة كتب لأكثر من مؤلف والله أعلم !.

■ واطلعت على النسخة الأوربية المطبوعة في (ويمار) بألمانيا ســنة ١٨٩٦م ، وناشرها هـــو المستشرق الألمـــاني « س. ف. سيبولد » ، وبها سقط في أولها وضع مكانه نقط هكذا :

. . . .

وبعد النقط مباشرة .. مايلي :

---

(١) ص : ٣٨٦ .

(٢) ص : ٢٥٦ ، ١٣٨٣ .

البنين والبنات والذوين والذوات فرأيتهم رحمة الله عليهم قد مهدوا فيه طريقا وسيعا .... الخ .

والنقص حوالي صفحتين ، كما أن بها فراغات صغيرة في ثنايا الكتاب[1] . وفي آخر الكتاب هذه الجملة « نظر فيه الفقير ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم الشافعي سنة ٩٧٩هـ » وصفحات الكتاب ٢٦٧ .

ويظهر أن الزركلي لم يطلع على هذه النسخة ، بل لم يعلم عنها ، كما لم يبلغ الكتاب مسامع ابن خلكان .

وفي هذه الطبعة تعليقات بل وعدة صفحات باللغة الألمانية قمت بترجمتها ، فوجدت أنه يتحدث فيها عن كتب أخرى ، ودراسات ، وملحقات لمجلة « الدراسات الآسيوية والآشورية » . ثم يتحدث عن كتب ألفت في الكنى والألقاب .. إلى أن يصل الى « المرصع » فيذكر أنه أصدر « المنى في الكنى » وأراد أن يصدر مقتطفات من بقايا كتاب المرصع ، وهي التي جمعها « آلات » في برلين في ١٦ صفحة من المخطوطات رقم ن ٧٠١٧ . ثم إنه عثر في مدينة « لا يبزيك » في فهرس فلايشر للمخطوطات العربية على ملاحظة عن المرصع لابن الأثير الذي يوجد

---

(١) كالصفحات : ٣٣ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٧ .

بشكل جزئي وغير متكامل ، فظن ـ سيبولد ـ في بادىء الأمر أنه يعني وجود بقايا عن الكتاب بحجم البقايا البرلينية، ولكن كم كانت فرحته عظيمة (!) عندما اكتشف في « لايبزيغ » في مكتبة الجامعة ١١٠ ورقات من المرصع .

■ وفي مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة مخطوطة عنوانها « المرصع » مجهولة المؤلف ، لما اطلعت عليها وجدت أنها مطابقة للنسخة المطبوعة في أوربا ، إلا أن هذه المخطوطة كاملة وتقع في ٧٦ ورقة ، وناسخها هو : **محمد عبد الرحمن** سنة ١١٤٥ هـ . وهي نسخة نفيسة ، بها طرة مزخرفة وهوامش الصفحتين الأولى والثانية مزخرفة بالذهب ، ومجدولة صفحاتها بالذهب والسواد ، والعناوين وبعض الكلمات بالأحمر .

■ ولعل من المفيد أن أورد مقتطفات من مقدمة المؤلف « ... ولقد وقفت بعض الأيام في بعض كتب العربية على تمثيل أسماء مثل بها مصنفه وفي جملتها (أم رباح) ولم يقيد لها لفظا ولا بناءً ، ولا ذكر لها مسمى فاشتبه أمرها فتطلبتها فيما حضرني من كتب العربية ، لغة ، ونحواً ، فلم أجدها ، وسألت عنها ، فلم أجد فيها شافيا .. ــ الى أن قال ــ .. ولم أزل أتتبع مواقعها وأتطلبها من مظانها

الى أن وجدتها في كتاب الطير لأبي حاتم السجستاني رحمه الله ، فحيث حصل اليقين أثلج الصدر وسكنت النفس الى معرفة هذه الكلمة التي خلت أكثر كتب العربية منها ، وناهيك أن تهذيب الأزهري ، وصحاح الجوهري ـ رحمهما الله ـ على عظمهما في كتب اللغة ، لم ترد فيهما فانصرفت حينئذ الى تتبع أمثال هذه اللفظة وما يجري مجراها فتطلبت ماجمع في ذلك من الكتب ، فوقفت على نفائس قديمة وحديثة قد تصدر فيها مؤلفوها بجمع ماورد في اللسان العربي من الكنى بالآباء والأمهات لغير الأناسي وما ورد فيه من التسمية بإضافة[1] البنين والبنات والذوين والذوات فرأيتهم رحمة الله عليهم قد مهدوا فيه طريقاً وسيعاً وجمعوا منه أسماء كثيرة ، وأبقوا لمن بعدهم كثيرا ، ووجدتها مع ذلك على اختلافها غير مقيدة بترتيب حاصر يجمع شواردها ، وينظم نداأدها حتى إذا طلب الإنسان منها كلمة وجدها بأدنى تأمل ، ورأيتهم قد أضافوا إليه جماعة من المشهورين بالكنى والأبناء والأذواء من الناس فمنضرب به مثل أوكان دائر في كثير من الخطاب ، فأبقوا لهم من ذلك كل ذكر جميل ، وشرعوا للواردين بعدهم أوضح

(١) ماتقدم من المقدمة كله ناقص من الطبعة الاوربية التي تبتدىء ب « البنين والبنات .... الخ » كما تقدم .

سبيل ، وقاموا في الحجة للمقتدين بهم بأصح دليل ، فعمدت الى مافرقوه في كتبهم فجمعته ، والى مانثروه فنظمته ، وأضفت إليه ما وجدته خارجا عنها ولم يشتمل عليه أحد منها مما عثرت عليه في كتب اللغة والنحو والأشعار والأنساب والأمثال والمجاميع والتواريخ ، وغيرذلك من كتب الأدب ، وما ورد من الكنى المحدثة ، ورتبت ذلك جميعه على حروف المعجم ليكون أسهل مأخذا وأقرب متناولا ، وجعلت التقفية للإسم المضاف اليه دون المضاف ، والتزمت في الترتيب الحرف الثاني والثالث لئلا يقع فيه تصحيف ، واعتمدت على ذكر الحرف الذي في أول الكلمة ، زائداً كان أوأصلياً ، ولم أسقط إلا الألف واللام التي للتعريف ..

على أني لم أر في هذا الفن كتاباً مؤلفاً على الحروف إلا ماجمعه أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي ، فإنه جمع كتاباً كبيراً في هذا الفن ، وقفاه على أواخر الأسماء ولم يلتزم فيه ترتيب الكلمات في مواضعها على التقديم والتأخير ، ثم عاد نقض هذا الإلتزام فحصل في طلب الكلمة منه تعب ومشقة ، وسأذكر عند انتهاء الحروف باباً يشمل الأسماء المترادفة على مسمى واحد مما جرى ذكره في الحروف مفصلا على سياقها ليكون الكتاب جامعاً لنوعي التأليف .

وقبل أن أذكر الحروف ومافيها أذكر مقدمة تشتمل على أحكام كلية تتعلق بمقصود الكتاب والغرض منه في ثلاثة أبواب ، وحيث كان مدار الكتاب على ذكر الكنايات والإضافات بالأولاد والأذواء والذوات لغير الناس ، لم نذكر فيه من أسماء الناس إلا بعض من اشتهر منهم فضرب به مثل ، أولم يعرف بغير كنيته أو إضافته ممن غلبت عليه الكنى والإضافات ، فإن أسماء الناس من الأولين والآخرين وخصوصاً الصحابة والتابعين قد جمعت أسماؤهم في كتاب المعارف والأنساب ، وصنفت فيها التصانيف الكثيرة فلا حاجة الى ذكرها في هذا المختصر إلا على سبيل الشذوذ والندور كما ذكرنا وسميته كتاب «المرصع» وبالله التوفيق)

■ وهذا فصل من « المرصع » .

(فصل •• اعلم أن الأسماء إنما وضعت في أول الأمر دلالة على مسمياتها لتعرف بها إذا ذكرت ويشار بها إليها فيما ينتظم به الكلام من خبر واستخبار وأمر ونهي وغيرذلك من أنواع الكلام الجارية في الخطاب ، فكانت الموجودات كلها ، سماؤها وأرضها وما فيهما ، وما بينهما ، محتاجة إليها لضرورة التفاهم ، وكان الأولى أن يكون لكل مسمى اسم يخصه كالإنسان والفرس والبعير ، ولكنهم عدلوا

عن ذلك في بعض المسميات فمنها ماجعلوا لها أسماء كثيرة كالسيف والخمر •• ومنها ماجعلوا لمسميات كثيرة اسما واحدا كالعين والمولى •

والأسماء على اختلاف أنواعها لا تخلو إما أن تكون مفردة أو مركبة ، فالمفردة نحو زيد وفرس ، والمركبة لاتخلو إما أن تكون جملة مفيدة أو غير جملة ، فالجملة نحو تأبط شراً وشاب قرناها ، وغير الجملة لايخلو إما أن يكون مضافاً أو غير مضاف ، فغير المضاف نحو حضرموت وسيبويه ، والمضاف لا يخلو إما أن يكون أبا نحو أبي محمد ، أو أما نحو أم فأر ، أو إبنا نحو ابن داية ، أو بنتا نحو بنت الأرض ، أو ذا الذي بمعنى صاحب نحو ذي يزن ، أو مؤنثة نحو ذات أو شال ، أو غير واحد من هذه الأنواع نحو عبد الله وربيعة الفرس فكل هذه الأنواع هي أسماء موضوعة للدلالة على مسمياتها »[1] •

وأورد المؤلف في كتابه هذا حوالي أربعمائة شاهد من الشعر على بعض الكنى والإضافات ، وأكثرها لأسماء أماكن في الجزيرة العربية •

---

(1) مخطوطة مكتبة عارف حكمت الأوراق ١،٢،٣ وطبعة ألمانيا الصفحات ٢-٦

وفي الكتاب إضافة الى ذلك كله فوائد جمة وطرائف وحكايات مفيدة •• كتعليل المؤلف لاستعمال الكنية ، وحكاية أصل سبب الكنى في العرب •• وغير ذلك •

■ وقد طبع كتاب المرصع بمطبعة الإرشاد ببغداد عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١م) بواسطة إحياء التراث الاسلامي برئاسة الأوقاف العراقية ، وحققه الدكتور إبراهيم السامرائي رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب ببغداد وعليه مقدمة قصيرة بقلم رئيس ديوان الأوقاف ••

وقال محقق الكتاب إنه نمط ظريف من التأليف المعجمي، يشتمل على مادة لغوية وأدبية تتصل بتاريخ العربية منذ أقدم عصورها ، وهو معجم خاص من المعجمات التي عقدها أصحابها على « المعانى » ، ويرى أن قيمة الكتاب لا تقوم على أنه معجم من معجمات المعاني الخاصة بل تتجاوز ذلك فتكشف عن مادة لغوية لا نجدها في كثير من كتب اللغة ، ثم إن هذه المادة اللغوية تظهر لنا طريقة العرب الأقدمين في إطلاق العلم والشهرة ، كما تكشف عن نظرتهم الى أعيان الطبيعة البدوية من حيوان ونبات ومكان وزمان •• كما ذكر المحقق أن مادة المرصع لا تخص القارىء المعني باللغة بل تتجاوز ذلك الى جمهرة كبيرة من المعنيين بالفكر الإنساني

في مراحله المختلفة[1] ..

واعتمد المحقق علـى ثلاث نسخ مخطوطة وعلـى النسخة المطبوعة الأوربية .. والمخطوطات هي :

نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (١١٠ ورقات) بخط نسخ جيد، ونسخة مكتبة فيض الله باستانبول وصورت بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، ونسخة مكتبة استان قدس بطهران .. في ١٢٣ ورقة بها سقط والنسخة الأوربية هي التي نشرها سيبولد (تقدم ذكرها) ..

وليت الدكتور السامرائي اطلع على مخطوطة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة وهي التي أشرت إليها آنفا فإنها نسخة كاملة وجيدة الخط وحسنة فقد يفيد منها مالم يفده من النسخ التي رجع إليها .

وذكر المحقق في آخر « المرصع » أنه سهى عن الاشارة الى أنه لم يستطع الحصول على صورة مخطوطة من المرصع موجودة في مكتبة جستى بيتى في دبلن .

وأثبت السامرائي أسماء ٨٣ مرجعا رجع اليهـا في تحقيق الكتاب وصنع للكتاب فهارس متعددة ولكنه أغفل وضع فهرس للمواضع والأمكنة (وهو مهم جدا) ، وعلل

---

(١) ص ١٤ ، ١٥ .

هذا تعليلا غير مقنع : (لأن هذا القسم من الكتاب ضخم ، كما أنـه مبوب حسب حروف المعجم في مادة الكتـاب ، ولا سيما ماكان منها خاصا بالأسماء المصدرة بـ « ذو » و « ذات » ثم إننـا أردنا أن نفرد للالفاظ ذات الدلالة الحضارية فهرسا خاصا ، ولما كان هـذا الفهرس يتسع لأغلب مادة الكتاب كما أشرت الى ذلك في المقدمة عزفنا عن ذلك اعتمادا على أن القارىء الذي يتابع هذه المـادة المرتبة حسب حروف المعجم سيجد مبتغاه واضحا)[1] .

وفي الكتاب أخطـاء كثيرة لـم تصحح[2] ، وكان المفروض أن يجتهد المحقق في تصحيحه والعناية بـه .

٤ ـ الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في تفسـير القـرآن

أخذه من تفسير الثعلبي « الكشف والبيان في تفسير القرآن » ومن تفسير الزمخشري « الكشاف عـن حقائق التنزيل » . ذكر ياقوت أنه في أربع مجلدات .

٥ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي في الحديث

قال عنه ياقوت في « معجم الأدباء » (له كتاب الشافي ،

---

(١) ص : ٣٩٥ (٢) وهذا مالاحظه حمد الجاسر في ص : ٧٩٣ من السنة السادسة من مجلة (العرب) . كما انه اورد سبعا وسبعين ملاحظة .

وهو شرح مسند الشافعي ، أبدع في تصنيفه ، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه ، نحو مائة كراسة) .

وذكر الزركلي في « الاعلام » أنه مخطوط .

وفي كتـــاب « مخطوطات الموصل » لداود الجلبي الموصلي ذكر اسم الكتاب هكذا « الشافي العينى في شرح مسند الشافعي » ــ ولعله تحريف شافي العي ــ منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٣٠٦حديث) فيأربع مجلدات ، ونسخة أخرى في مجلد واحد برقم ٢٢١١٨٤ ب .

وصاحب كشف الظنون أورد اسمه « شافي العي في شرح مسند الشافعي » في خمس مجلدات كما أضاف أن السيوطي صنف كتابا أسماه أيضا « الشافي العي على مسند الشافعي »[1] .

٦ ــ المختــار في مناقب الأخيــار

ذكر ياقوت أنه أربع مجلدات

وفي كشف الظنون أنه « المختار في مناقب الأبرار » منه نسخة بليدن برقم (١٠٩٠) كما يوجد النصف الثاني منه بمكتبة فيض الله بـ « استانبول » برقم ١٥١٦ وهـــو مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وعده صاحب « الأعلام » من المخطوطات .

---

(١) ص : ١٦٢٣ .

٧ ـ المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار

ذكره ابن خلكان ، وابن تغرى بردى ، وابن السبكي ، وابن العماد ، وطاش كبرى زاده ، وصاحب هدية العارفين ؛ ولم يذكره ياقوت ولا الزركلي .

٨ ـ البديع في النحو

ذكره هكذا ياقوت ، والقفطى ، والسيوطي ، وطاش كبرى زاده ، وصاحب هدية العارفين ، أما ابن خلكان ، وابن السبكى ، وابن تغرى بردى فقد أسموه « البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهان » . قال عنه ياقوت (نحو الأربعين كراسة ، وقفني عليه أخوه عز الدين على فوجدته بديعا كاسمه ، سلك فيه مسلكا غريبا ، وبوبه تبويبا عجيبا)[1] .

٩ ـ الباهر في الفروق في النحو

أشار إليه ياقوت ، والسيوطي ، وطاش كبرى زاده ، وحاجي خليفة ، وصاحب هدية العارفين ، وذكره ابن السبكى باسم (الفروق والأبنية) .

---

(١) رجع الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد في صفحة (يه) من مقدمته لكتاب المثل السائر ان البديع الموجود منه نسخة بدار الكتب المصرية من مؤلفات ابن الاثير نصر الله الأديب لانه لم يعرف ان لمجد الدين في البلاغة كتاباً .

١٠ ـ تهذيب فصول ابن الدهان في النحو

ذكره ياقوت والسيوطي •

١١ ـ تجريد أسـماء الصحابة

لم يذكره سوى الزركلي في « الأعلام » وقال إنـه مخطوط ، وبروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » الذي قال إنه موجود في حيدر أباد •

وذكر شـهاب الدين النجفي في مقدمته لأسد الغابة ـ طبعة طهران ـ أن (من الناس من ينسب تجريد أسماء الصحابة الى ابن الأثـير مؤلف الأسد نفسه ، وهو وهم وزلل ، كما أن من نسب أسد الغابة لمجد الدين المبارك ابن الأثير ضل وأضل) •

١٢ ـ الرسـائل
أو ديـوان رسـائل

ذكره ياقوت ، وابن تغرى بردى ، واسماعيل باشا البغدادي ، وحاجي خليفة والزركلي •• على اختلاف بينهم في اسمه بعضهم يقول « رسائل » والبعض الآخر يقـول « ديوان رسائل » •

وعد بروكلمان « رسائل » في مؤلفات مجد الدين المبارك ، وقال إنها جمعت من قبل أخيه عز الدين ، وأضاف

أن الكتـاب موجود في القاهرة[1] • وقال حاجي خليفة إن من لهم ديوان رسائل أيضا : على بن محمد بن بسام المتوفى سنة ٣٠٢ هـ ، وقاسم بن محمد الحريري المتوفى سـنة ٥١٦ هـ ••

١٣ ـ كتـاب في صنعة الكتابة

أشار اليه ابن خلكان ، ووصفه بأنه كتاب لطيف ، وكذا ابن تغرى بردى ، كما ذكر في « هدية العارفين » وفي « الفوائد البهية في تراجم الحنفية » ، وغيرهما •

١٤ ـ الجواهر واللآلىء من إملاء الوزير الجلالي

جمع فيه رسائل جلال الدين أبي الحسن عـلي بن جمال الـدين الاصبهاني الوزير ، جاء ذكره في « كشف الظنون » ، وفي « هدية العارفين » •

١٥ ـ رسائل في الحساب مجدولات

ذكره ياقـوت •

١٦ ـ شـرح غريب الطـوال

ذكره ابن السبكى ، ولعله منال الطالب الآتي ذكره بعد قليل[2] •

---

(١) لعله يقصد رسائل ضياء الدين نصر الله الآتي ذكرها فاشتبه الأمر عليه •
(٢) وهذا مايراه الاستاذ حمد الجاسر •

١٧ ـ النهاية الأثيرية في اللغات الحديثة

ذكره اسماعيل باشا البغدادي في « هدية العارفين » وعده كتاباً غير « النهاية »[١] .

١٨ ـ منال الطالب في شرح طوال الغرائب

هذا الكتاب لم تذكره أو تشر إليه أي من المصادر التي ترجمت لأبناء الأثير ، أو كتب معاجم المطبوعات لا بقليل ولا بكثير . وأول من أشار إليه هو الشيخ (حمد الجاسر) في مجلة « العرب » حيث ذكر أن خيرالدين الزركلي قدم له صورة من الكتاب ، وأنه سبق أن اطلع على النسخة الأصلية منه في الخزانة العامة بمدينة الرباط بالمغرب فلم يتسن له تصويرها .

وعن هذا الكتاب قال الجاسر : (كتاب منال الطالب من الكتب القيمة في موضوعها ، أوضح مؤلفه ـ في مقدمته ـ الغاية منه . ويظهر أنه من آخر ما ألفه أبو السعادات المبارك ابن الأثير من المؤلفات ، كما تدل على ذلك الإجازة التي كتبها أخوه علي المؤرخ بخط يده في طرة الكتاب . ويظهر أن المؤلف كان يستعين ببعض تلاميذه بإيراد النصوص المطولة من مظانها ثم يأمر بجمعها ، ويملي شرحها ، ولذا

---

(١) ج : ٢ ص : ٣ .

فقد عول أكثر ماعول على كتب خمسة في غريب الحديث هي : كتاب أبي عبيد أحمد بن محمد الهروى ، وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، والحافظ أبي موسى الاصبهاني ، والزمخشري)[1] .

وتتضح الغاية من تأليف الكتاب بقول المؤلف في مقدمته (أما بعد .. فإني لما بلغت الأمل والغرض ، وأديت النفل والمفترض ، من تصنيف كتاب « النهاية في غريب الحديث والأثر » وفرغت من تأليفه وجمعه ، وترتيبه في أحسن وضعه ، وكان الغريب الوارد فيه ، المدرج في أثنائه ومطاويه ، مفرقا في أنواع صنوفه ، مقسما في أبواب حروفه ، حيث التزمنا في وضعه التقفية على حروف المعجم ، والإبتداء بالأول فالأول والأقدم فالأقدم ، ولا تكاد تجد فيه حديثا تاما وإن قل كلمه ، ولا أثرا متسقا وان استقل منتظمه ــ أحببت أن أستأنف كتاباً مختصرا أجمع فيه من الأحاديث والآثار الطوال والأوساط ما أكثر ألفاظه غريب لا يفهمه أكثر الناس ، ويعز إدراك بعضه على كثير من الخواص ، أوردها كاملة متناسقة الالفاظ تامة الإيراد

---

(١) مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض ، الجزءان السادس والسابع من السنة الخامسة ، الصفحات ٥٢١ ـ ٥٣٧ ، ٦٢٨ ـ ٦٧٣ .

والإقتصاص ، وأتبع كل حديث منها أو أثر شرح غريبه ، وتفسير معانيه ، وإيضاح المقاصد المودعة فيه .

وقد كان الأئمة والعلماء ــ رحمة الله عليهم ــ جمعوا الأحاديث الطوال ودونوها ، وأظهروا أسرارها للطالبين وأعلنوها ، فأتوا منها بكل حسن جميل ، واقتنوا به كل ذكر كريم وأجر جزيل ، إلا أنهم لم يقتصروا على نوع من طوال الأحاديث والأثر ، لكن جمعوا ما روي منها طويلا ، سواء كان غريبه كثيرا أو قليلا ، ونحن اختزلنا من الطوال ماكان أكثر ألفاظه غريبا على أي حاليه كان بعيدا أو قريبا ، توخيا للحفظ والتناجي ، وبلاغا للآمل والراجي ، ولم نستقص في جميع الاحاديث والإستكثار منها خوف الضجر والملل ، وهربا من الوقوع في الخطأ والزلل ، فاقتصرنا على الأحاديث والآثار المشهورة في كتب الحديث والغريب ، واستقصينا شرح ما اخترناه منها ، وبسطنا القول في إيضاح ما شذ من وجوه التأويل عنها ، وجمعنا بين أقاويل من تقدم من العلماء ، وسبق من الفضلاء في شرحها وتفسيرها ، وتبين معانيها وتقريرها ، وأضفنا إليه ماعسى أن يكون غفل عنه ، أو لم يبلغ الغرض منه .

وقد قسمناه الى قسمين .. أحدهما : في أحاديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم مما له فيه كلام أو ذكر سيق الحديث له ، أو بني عليه ، والثاني في آثار جماعة من أصحابه وبعض التابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين ، وسميته كتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب)[1] .

وأضاف الشيخ حمد الجاسر في « العرب » عن هذا الكتاب . (وهذه النسخة التي ذكرناها نسخة فريدة فكاتبها هو ابن أخي المؤلف كما جاء في آخرها وهذا نصه « تم كتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب ، وذلك في سنة ست وستمائة ، كتبه محمد بن نصر بن عبد الكريم ولد أخى المصنف حامداً الله تعالى على نعمه ، ومصلياً على رسوله مسلما والحمد لله رب العالمين » ونقلها من إملاء المؤلف نفسه ، وقرأها عليه كما يفهم من كتابة عمه علي بن محمد صاحب التاريخ ...

وهذه النسخة تقع في ٥١٥ صفحة ، في الصفحة ١٥ سطرا ، ومع جودة هذه النسخة وقوة صلتها بمؤلفها فقد وقع في مواضع منها بياض . وخط النسخة جميل بالقلم النسخي ، وأكثر الكلمات مشكلة ، ومع ذلك فقد يكون

---

(١) المصدر السابق .

فيه بعض الأخطاء ، وفي هوامش النسخة بعض تصحيحات أو استدراكات يسيرة .

وقد تنقلت النسخة بأيدي ملاك .. آخرهم السيد حسن باش زاده نقيب الإشراف ، ثم وصلت الى مكتبة الأوقاف في خزانة الرباط في مدينة فاس ، ورقمها ١٨٢ ، وصور الزركلي نسخته منها)[١] .

---

(١) نفس المصدر السابق .

ابن الأثير عز الدين علي
المؤرخ

الثاني ـ ابن الاثير عز الدين علي ـ المؤرخ

٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ

١١٦٠ ـ ١٢٣٣ م

كنيته : أبو الحسن ، ولقبه : عز الدين أو « العز » كما يدعوه بعضهم ، واسمه : على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بـ « ابن الأثير » .

ولد بالجزيرة في الرابع من جمادى الأولى ، ونشأ بها ، ثم انتقل الى الموصل مع والده وأخويه ، وسكنها وسمع بها من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي ، ومن في طبقته ، وقدم بغداد مرارا في طريقه للحج ، ورسولا من صاحب الموصل بدر الدين الى خليفة بغداد ، وسمع بها من الشيخين أبي القاسم « يعيش بن صدقة » الفقيه الشافعي ، وأبي أحمد « عبد الوهاب بن علي الصوفي » وغيرهما . ثم رحل الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل ، ولزم بيته منقطعا الى التوفر

على النظر في العلم والتصنيف ، وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها ، وكان إماما في حفظ الحديث ومعرفته، وما يتعلق به، وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيرا بأنساب العرب ، وأيامهم ، ووقائعهم ، وأخبارهم[1]،

ومن روى عنه الشرف بن عساكر ، وسنقر القضاعي اللذان يقول فيهما صاحب طبقات الشافعية ـ السبكي ـ إنهما من أشياخه .

وصفه عبد الحميد العبادي بأنه مؤرخ يمتاز بشدة التثبت فيما ينقل ، بل لقد يسمو أحيانا الى نقد المصادر التي يستمد منها ، وله استدراكات وجيهة على الطبري والشهرستاني وغيرهما من العلماء والمؤرخين الذين نقل عنهم[2]

وقد ظهرت ثقافة عز الدين في ناحيتين : الحديث والتاريخ إلا أن ثمار هذه الثقافة كانت في التاريخ لا في الحديث .

ومن أسماء مؤلفاته نرى أنه قد اهتم بالتاريخ بفروعه المختلفة ، اهتم بالتاريخ العام الممثل في « الكامل في التاريخ » وبالتراجم الممثل في « أسد الغابة » ، وبالأنساب الممثل في

---

(١) وفيات الأعيان ج : ٣ ص : ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج : ١ ص : ٨٣ .

« اللباب » ، كذلك اهتم بالتاريخ الخاص ، فأرخ لإحدى الأسر الحاكمة في الإسلام ، وهي أسرة بني زنكي في كتاب « التاريخ الباهر » ، فجمع بذلك علم التاريخ كله ، فأجاد فيه وأحسن ، وحاز ثقة من جاء بعده من المؤرخين القدامى، ومن المهتمين بالدراسات التاريخية الاسلامية من المحدثين[1] .

وتتضح سعة أفق ابن الأثير ، وبعد نظره ، وحصافة رأيه ، في أنه لم ينظر ــ في تاريخه ــ الى الحروب الصليبية ــ مثل غيره من المؤرخين ــ نظرة ضيقة ، ويعتبرها مجرد هجمات قام بها الفرنج على بلاد المسلمين في الشرق الأدنى ، وإنما اعتبرها حركة شاملة أراد بها الأوربيون المسيحيون تطويق العالم الإسلامي ، مغربه ومشرقه ، « وبعبارة أخرى » فابن الأثير لم يفصل بين هجمات الفرنج على الشام في أواخر القرن الخامس للهجرة ، وبداية هجومهم قبل ذلك بسنوات قليلة على المسلمين في صقلية والأندلس ، وإنما رأى أن جميع تلك الهجمات التي تعرض لها المسلمون في المغرب والمشرق إنما هي أطراف لحركة واحدة ضخمة شاملة[2] .

---

(١) مقدمة محقق التاريخ الباهر ص : ١٣ ، ١٤ .
(٢) تراث الانسانية ج : ٢ ص : ٩١٦ من مقال للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ــ أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة

وليس أدل على مكانة ابن الأثير العلمية من أن عالما مثل التستري يشير اليه فيقول « وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه » •

ويظهر أن ياقوتا لم يترجم عز الدين ـ كما ترجم أخاه المبارك ـ لأنه لم يعده من الأدباء •

كما يظهر أن عز الدين لم يدخل في خدمة ملوك الموصل ، ـ لأن أحدا لم يذكر ذلك لا هو ولا مترجميه ـ سوى ماتقدم من أنه أرسل من صاحب الموصل للخليفة في بغداد ، وقصة هذه الرسالة كما أوردها ابن الطقطقي هي « أن صاحب الموصل ـ بدر الدين ـ قال لمجد الدين المبارك أريد أن تعين لي في هذه الساعة رجل دين أميناً يكون موضعا للسر ، حتى أحمله مشافهة سرية الى الخليفة ويتوجه في هذه الساعة ، فأفكر ابن الأثير ساعة ثم قال : ما أعرف أحدا بهذه الصفة إلا أخي ، قال : ففهم وعرفه ذلك ، فلما حكى لأخيه ماجرى عندالسلطان قال له : يا أخي والله ما شهدت لك إلا بما أعرف عنك فتوجه الى خدمة السلطان وامتثل مايشير به • فحضر ابن الأثير عند السلطان وشافهه بالمراسلة ، فلما عاد الى داره ليودع أخاه وجده ينتظره في الدهليز فسأله ماهي الرسالة ؟ فقال : « يا أخي ••

الساعة شهدت لي عنده بالدين والأمانة وحفظ السر ، أفيجوز أن أكذّبك في الحال ..؟ قال لي شيئا ما أقوله إلا لمن أمرني أن أقوله له » ، فبكى مجد الدين أخوه ، ودعا له »[1] .

وقد أفرد الدكتور صلاح الدين المنجد ترجمة لعزالدين علي في الجزء الثالث من سلسلة « أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب » في ٣٨ صفحة . كما ذكر عبد القادر أحمد طليمات محقق « التاريخ الباهر » أنه يعد بحثا مستفيضا عن « ابن الأثير عز الدين » مع دراسة مؤلفاته ومنها « الكامل في التاريخ » وتحديد مصادره ، كما قال في موضع آخر إنه بسبيل إصدار كتاب عن ابن الأثير ومؤلفاته .

وكانت وفاة ابن الأثير في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٦٣٠ هـ .

---

(١) بتصرف .. من أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ج : ٣ ص : ٦٨،٦٩

مؤلفـاته

١ ـ الـكامل في التاريـخ

يسميه مؤلفه ـ أحياناً ـ « المستقصى في التاريخ » كما يُدعى « كامل التواريخ » ، ابتدأ فيه من أول الزمان الى سنة ٦٢٨ هـ .

وصفه ابن خلكان بأنه من خير التواريخ .

وهو من أشهر التواريخ المتداولة ، ومن أوثق المصادر التاريخية الإسلامية ، وأوضحها وأوعاها ، جعله اثنى عشر جزءاً كبيراً .. الأول : في التاريخ القديم الى ظهور الاسلام ، وفيه معلومات عن تواريخ الفرس والروم ، ولا سيما العرب الجاهلية فإنه أتى على وقائعهم وأيامهم يوماً يوماً ، أو واقعة واقعة ، وهو من أوعى الكتب لهـذه الحقبة من تاريـخ الجاهلية . والجزء الثاني يبدأ بتاريخ الإسلام من نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فظهور الإسلام والخلفاء الراشدين ، ومن بعدهم ، ويتسلسل هذا التاريخ حسب السنين الى آخر الجزء الثاني عشر ، وفي هذا الجزء تفصيل

ماعاصر المؤلف من اكتساح جنكيزخان بلاد الإسلام • والكتاب كله مرتب على السنين ، تاريخ كل سنة على حدة، مع التفريق فيها بين الحوادث حسب الأماكن[1] •

وقد جمع فيه ـ مؤلفه ـ خلاصة الكتب التاريخية التي تقدمته ، ككتب ابن الكلبى ، والمبرد ، والبلاذرى ، والمسعودي ، واقتبس تاريخ الطبري كله تقريباً بعد حذف الأسانيد ، وخاصة في الأجزاء السبعة الأولى ، كما قلده في ترتيبه ، وكذلك فقد انتفع ابن الأثير بكل المصادر العربية التى وصلت الى يده ، لذلك يعتبر كتابه بحق خلاصة وافية لما كتبه المسلمون في تاريخهم السياسي سنة ٦٢٨ هـ •

ويكفي أن تتصفح هذا الكتاب لتتبين سعة اطلاع ابن الأثير ، وتحريه الحقيقة ، على انه تجنب النظر والانتقاد فسار على خطوات المؤرخين المسلمين •

وصفه الحافظ ابن حجر العسقلاني مؤلف الإصابة في أسماء الصحابة المتوفى سنة ٨٥٢ هـ بأنه أحسن التواريخ بالنسبة الى إيراده الوقائع موضحة مبينة ، حتى كأن السامع

---

(١) تاريخ آداب اللغة لجورجي زيدان ج : ٣ ص : ٨٧ .

في الغالب حاضرها ، مع حسن التصرف وجودة الإيراد ، بحيث خطر له أن يذيل عليه من سنة وقف[1] ..

وقد ذيل على « الكامل » أبو طالب على بن أنجب بن الساعي البغدادي الخازن المتوفى سنة ٦٧٤ هـ ، في خمسة مجلدات الى سنة ٦٥٦ هـ ، وترجمه بالفارسية نجم الدين الطارمي من أعيان دولة ميرزا ميرانشاه بن تيمور ، وللجمال محمد بن ابراهيم بن يحيى الكتبي المعروف بالوطواط المتوفى سنة ٧١٨ هـ حواش مفيدة على الكامل .

وإن النهج الذى اتبعه ابن الأثير في تاريخه قائم على الاختيار والتأليف ، لا على النقل والسرد ، ولعله أول تاريخ في تراثنا نهج هذا النهج ، والمكانة التي نالها كتاب الكامل عند الأقدمين ليست دون المكانة التي نالها عند المعاصرين . ومن المؤكد أن المصادر التي اعتمد عليها كثيرة جدا ، ذلك أنه لم يؤرخ لـدولة واحدة في رقعة واحدة ، بل ورخ لجميع الدول الإسلامية في جميع الأقطار ، فنحن نجد فيه أخبار افريقية ، والمغرب ، وطرابلس ، وصقلية ، والحجاز ، وملطية ، والهند ، والجزيرة ، واليمن ، وخراسان ، وفارس ، كما نجد أخبار الشام ومصر والعراق ، ونجد أخبار التتار

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

والغوريين ، وأخبار الموحدين والملثمين والأيوبيين ، والأتابكة ، الى جانب أخبار الفرنج ، هذا عدا عن أخبار الدولة الأموية والعباسية ، وهو أول كتاب تاريخي جامع لأخبار هذه الدول كلها . وقد كان مصدرا مهما للتواريخ التي جاءت بعده ، فتأثر به أبو الفداء في تاريخه ، واتبع نهجه ونقل منه ، وطالعه الذهبي عند تأليف تاريخه الكبير ، وأخذ منه ابن كثير في « البداية والنهاية »[1] .

ولعل ماذكره مؤلف سيرة جلال الدين منكبرتي في مقدمته عنه .. أحسن شهادة عن شموله واتساعه وإحاطته بالدقيق من الأخبار :

« رأيت الكامل يتضمن من أحاديث الأمم عموما ، وغرائب أخبار العجم خصوصا ماشذ عن غيره ، وأنصف في تسميته كاملا ، ولم أستبعد ظفره بشيء من تواريخهم المؤلفة بلغتهم ، وإلا فما الأمر مما يؤخذ بالقياس ، والذي أودعه تأليفه أكثر من أن يتلقف من أفواه الناس .. ـ الى أن قال ـ ... لم يفته من معظمات الأمور جليل ، فقلت لله در مقيم بديار الشام دعته همته الى ضبط ماحدث

(١) أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ج : ٣ ص : ٨٥ .

من الوقائع بأعالي بلاد الصين ، وأعماق ديار الهند[1] .

ويعتبر « الكامل » دائرة معارف ضخمة في التاريخ الإسلامي حتى سنة ٦٢٨ هـ ، فضلا عن أنه يعتبر مرجعا أصيلا من مراجع الحروب الصليبية[2] .

ميزات الكامل

أولا : الدقة وتحري الحقيقة فيما يكتب ، هذا مع اتصاف كتابة ابن الأثير بالتماسك والتركيز والبساطة ، والملاحظ على كتب التاريخ المعاصرة والسابقة ــ التي أخذ عن بعضها ابن الأثير ــ الإسهاب وكثرة الروايات والأسانيد .

ثانيا : راعى ابن الأثير في كتابه التوازن بين أقاليم العالم الاسلامى ، فلم تصرفه الأحداث التي ألمت بالمشرق عما كان يجري في المغرب من تطورات ، ولم يحدث أنه انساق وراء حدث خطير في المغرب فنسي ذكر أخبار المسلمين في الهند أو فيما وراء النهر .

ثالثا : والمعروف ان كتابة التاريخ في العصور القديمة والوسطى امتلأت بالقصص الخرافي التي لا يستسيغها العقل

---

(1) نفس المصدر السابق ص : ٨٥ ، ٨٦ .

(2) تراث الإنسانية ج : ٢ ص : ٩١٨ .

أو المنطق، ولكن ابن الأثير لم يكن مثل غيره من كتاب التاريخ يلتهم مايصادفه من أخبار، ويدون كل مايقرأه أو يسمعه من قصص، بل عرف كيف ينتقي المادة الصالحة، وكيف يختار غذاءه النافع •

رابعا : اعتمد ابن الاثير في جمع مادته على أدق المراجع وأوثق الكتب[1] •

مآخذ على الكامل

وهذه المزايا كفيلة بأن تجعل « الكامل » مرجعا خالدا يستسيغه القارىء، ويعول عليه الباحث والمدقق، ولكن هل معنى ذلك أنه ليس ثمة انتقادات يمكن توجيهها الى ابن الأثير وكتابه ؟ الواقع أنه يمكن توجيه النقد الى أي عمل ينهض به البشر • وهذا الكتاب مع مافيه من حسنات كثيرة، لا يتعذر على من يريد التفتيش عن العيوب أن يعثر بين ثناياه عن مثالب بسيطة، نجملها فيما يلي :

أولا : يؤخذ على ابن الأثير أنه لم يكن منصفا في نظرته الى بعض الشخصيات المعاصرة، فقد بالغ في تمجيد الزنكيين، وأسرف في الإشادة بهم، وإضفاء هالة براقة

---

(١) تراث الانسانية ج : ٢ ص ٩٠٩

على أعمالهم ، وذلك اعترافا منه بفضلهم عليه وعلى بيته وأسرته ، وربما دفعه هذا الولاء الى التغاضي عن بعض أخطائهم وعيوبهم ، مكتفيا بذكر محاسنهم ومآثرهم .

ثانيا : لم يستطع ـ في الوقت نفسه ـ أن يخفي تحامله على صلاح الدين ، فحاول أن يشوه بعض أعماله ، ويسيء تفسير بعض تصرفاته ، ولـم يترك فرصـة دون أن يغمز صلاح الدين بطريق مباشر أو غير مباشر ، بل لقد بلغ به الأمر أن اتهم صلاح الدين بالأنانية ، واغتصاب السلطة من أصحابها الشرعيين ، والتخلص من خصومه عن طريق الإغتيـال .

والواقع أن المؤرخ .. يجد نفسه في حيرة إزاء موقف ابن الأثير من صلاح الدين . وقد حاول بعض المستشرقين وغيرهم تفسير ذلك الموقف في ضوء أطماع ابن الاثير ، فقالوا إن هذا المؤرخ كان يطمع في أن يحظى بمكانة خاصة عند صلاح الدين . فلم يبلغ ماتمناه . ولكن دراستنا لحياة ابن الأثير وأخلاقه لا تترك مجالا للشك في أنه لـم يطمع أبدا في الحصول على منصب أو وظيفة . وكان في استطاعته بحكم ماوصل إليه من مكانة عند صاحب الموصل ، أن يحصل على بعض الوظائف . فاذا كان الأمر كذلك فما السـر في

موقف ابن الاثير من صلاح الدين ؟ إن الأمر لا يعدو شيئا واحدا هوأنولاءه للزنكيين دفعهالىالنفور منصلاحالدين.

على أنه اذا كان ابن الأثير قد تحامل على صلاحالدين في حياته فانه لم يملك سوى أن يترحم عليه بعد وفاته بكلمة طيبة ذكرها في حوادث سنة (٥٨٩هـ) فقال « وكان رحمه الله كريما حليما حسن الأخلاق متواضعا صبورا على مايكره ، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه ، يسمع من أحدهم مايكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه » .

ثالثا : يرى بعض الكتاب أن ابن الأثير أسرف فيالنقل عن السابقين والمعاصرين له من المؤرخين ، والواقع أنه كان لزاماً على مؤرخ مثله عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للهجرة أن يبحث عن مصادر يستقى منها معلوماته عن القرون الأولى[1] .

مقتطفات من مقدمة المؤلف

يحدثنا ابن الأثير عن الدافع الذي دفعه لتأليف الكتاب ، والنهج الذي سلكه .. فيقول :

« أما بعد .. فانني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة مافيها ، مؤثرا للاطلاع على الجلي من حوادثها

(١) المصدر السابق ص : ٩١.

وخافيها ، مائلاً الى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها ، فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض ، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض ، فمن بين مطول قد استقصى الطريق والروايات ، ومختصر قد خل بكثير مما هو آت ، ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات ، والمشهور من الكائنات ، وسود كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولى ، وترك تسطيرها أحرى ، كقولهم خلع فلان الذمي صاحب العيار ، وزاد رطلاً في الأسعار ، وأكرم فلان ، وأهين فلان ، وقد أرخ كل منهم الى زمانه ، وجاء بعده من ذيل عليه ، وأضاف المتجددات بعد تاريخه إليه ، والشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربي قد أهمل أحوال الشرق ، فكان الطالب اذا أراد أن يطالع تاريخنا احتاج الى مجلدات كثيرة، وكتب متعددة مع مافيها من الإخلال والإملال .

فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ، ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان ، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان ، متتابعة يتلو بعضها بعضا الى وقتنا هذا ، ولا أقول إني أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ ،

فإن من هو بالموصل لا بد أن يشذ عنه ماهو بأقصى الشرق والغرب ، ولكن أقول إني قد جمعت في كتابي هـذا مالم يجتمع في كتاب واحد ، ومن تأمله ، علـم صحة ذلك ، فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبوجعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه ، والمرجوع عند الإختلاف إليه ، فأخذت مافيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها ، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عدد ، كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها ، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه ، فقصدت أتم الروايات ، فنقلتها وأضفت إليها من غيرها ماليس فيها وأودعت كل شيء مكانه فجاء جميع مافي تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ماتراه .

فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها الى مانقلته من تاريخ الطبرى ماليس فيه ووضعت كل شيء منها موضعه .

وانما اعتمدت على أبي جعفر من بين المؤرخين اذ هو الامام المتقن حقا ، الجامع علما ، وصحة اعتقاد وصدقا ، على أنى لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة ، والكتب المشهورة ، ممن يعلم صدقهم فيما نقلوه ، وصحة ما دونوه

ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي •

ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سـنين ، ويذكرون منها فى كل شهر أشياء ، فتأتى الحادثة مقطعة ، لا يحصل منها على غرض ، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر ، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد ، وذكرت كل شيء منها فى أي شهر أو سنة كانت ، فأتت متناسقة متتابعة ، قـد أخذ بعضها برقاب بعض ، وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها •

وذكرت في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهورى العلمـاء ، والأعيان والفضلاء ، وضبطت الأسماء المشتبة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطاً يزيل الإشكال ، ويغني عن الألفاظ والاشكال •

فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث تجددت ، ولأن معرفتىبهذا النوع كملت وتمت ، ثـم إن نفرا من إخواني ، رغبوا إلي فى أن يسمعوه منى ، ليرووه عني ، فاعتذرت بالإعراض عنه وعدم الفراغ منه ، فإننى لم أعاود مطالعة مسودته ، ولم أصلح مافيها من غلط وسهو، ولا أسقطت منها مايحتاج الىإسقاط ومحو، وطالت المراجعة مدة وهم للطلب ملازمون ، وعن الإعراض معرضون •

فبينما الأمر كذلك إذ برز أمر مَنْ طاعتـه فرض واجب ، واتباع أمره حكم لازب ... العـالم المؤيد ، المنصور المظفر بدر الدين ، فحينئذ ألقيت عنى جلباب المهل ، وأبطلت رداء الكسل ، وألّقت الدواة وأصلحت القلم ، وقلت هذا أوان الشد فاشتدى زيم .. عـلى أني مقصر بالتقصير ، فلا أقول إن الغلط سهو جرى به القلم ، بـل أعترف بأن ما أجهل أكثر مما أعلم وقد سميته اسماً يناسب معناه وهو الكامل في التاريخ .

ولقد رأيت جماعة ممن يـدعي المعرفة والدراية ، يحتقر التواريخ ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغيها ، ظنا منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار ، وهذه حال من اقتصر عـلى القشر دون اللب نظره ، ومن رزقه الله طبعاً سليماً ، وهداه صراطاً مستقيماً ، عـلم أن فوائدها كثـيرة ، ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة ، وهانحن نذكر شيئاً مما ظهر لنـا فيها ، ونكل إلى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها ...)[1] .

---

(۱) الكامـل .. طبعـة ادارة الطباعة المنيرية الصـفحات : ٤-٧ وطبعـة دار صادر ص : ٢-٦ .

طبعات الكامل

■ أول ماطبع « الكامل » في « ليدن » بأوربا من عام ١٨٥١ الى ١٨٧١م (١٢٦٨ــ١٢٨٨هـ) فى اثنى عشــر جزءاً ، ووضع له « كارلوس تورنبرغ » فهرست لما احتواه الكتاب المذكور في جزئين هما : الثالث عشر والرابع عشر .

■ ثم طبع في مطبعة بولاق عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) في اثنى عشر جــزءاً ، وعلى هامش الأجزاء مــن الأول الى السادس كتاب « أخبار الدول وآثار الأول » للفرمانى ، وعلى هامش السابع الى التاسع « روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر » لأبي الوليد ابن الشحنة ، وعلى هامش العاشر الى الأخير « تاريخ العتبى » .

■ وطبع «الكامل» في المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ه في ١٢ جزءاً، بهامشه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجبرتي.

■ وطبع في مطبعة محمد أفندي مصطفى سنة ١٣٠٣ هـ فى ١٢ جزءاً بهامشها « مروج الذهب ومعادن الجوهر » للمسعودى وكتاب « روضة المنــاظر في أخبــار الأوائل والأواخر » لابن الشحنة[١] .

---

(١) معجم المطبوعات ص ٣٧ .

وقد نقل المستشرق « فنياك » مايتعلق فى « الكامل » بالمغرب وأسبانيا الى الفرنسية ، وطبع في الجزائر سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) في ٦٦٤ صفحة[١] .

■ ثم قامت إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها محمد منير الدمشقى بطباعة الكتاب فى تسعة مجلدات سنة ١٣٤٨هـ « وصححه وكساه ملاحظات مفيدة المؤرخ الشيخ عبد الوهاب النجار أستاذ التاريخ بقسم التخصص فى الأزهر وفى الجامعة المصرية سابقاً » .

على أن إدارة الطباعة المنيرية لم تكمل طبع الكتاب ، فقد طبعت سبعة مجلدات فقط ، أما المجلدان الثامن والتاسع فقامت بطبعهما المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد ، وكتب فى غلافهما : « عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء » . وفى آخر الجزء السادس ذكر بعنوان (خاتمة الطبع) ـ أن الشيخ عبد الوهاب النجار اعتذر عن تصحيح وملاحظة بقية أجزاء الكتاب ، وأن صاحب الدار قام بهذه المهمة .

وأسوأ مافى هذه الطبعة أنها بدون فهارس ، وأنها لم تستفد شيئاً من الطبعة الأوربية .

---

(١) تاريخ آداب اللغة جـ : ٣ ص : ٨٨ .

■ وقامت دار الكتاب العربي في بيروت بتصوير الطبعة المنيرية ، دون أن تشير لذلك وزعمت أنها الطبعة الثانية (تسعة مجلدات) ، وذلك عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) • وهى نفس الطبعة المنيرية ••

■ وطبع الكامل أخيرا عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) في لبنان بواسطة « دار صادر ودار بيروت » طبعة جيدة جداً ، بذلت جهود كبيرة لإخراجها بهذا الشكل •

وهذه الطبعة ـ في ثلاثة عشر مجلدا تتراوح صفحات كل مجلد بين ٥٠٠ و ٧٠٠ صفحة • والمجلد الثالث عشر خاص بالفهارس •• فهارس للاعلام فى ٤٠٠ صفحة وفهارس للأماكن فى ١٥٠ صفحة • كما أن لكل مجلد فهرس للموضوعات •

وملاحظتى على هذه الطبعة هى أن الدار ـ فى مقدمتها ـ أغفلت تماما ذكر طبعات « الكامل » السابقة ـ عدا الأوربية ـ وأهمها الطبعة المنيرية التى تقدم ذكرها والتى هى آخر طبعة قبل طبعة دار صادر ودار بيروت •

٢ ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل

أحد كتب ابن الأثير عز الدين التاريخية الهامة ، خصه بأخبار دولة إسلامية حاكمة ظهرت فى النصف الغربي من

دولة الخلافة العباسية ، أسسها عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة آقسنقر الحاجب بمدينة الموصل سنة ٥٢١هـ (١١٢٧م) وشملت فى عهد ابنه نور الدين محمود الموصل والجزيرة والشام ومصر واليمن • ويطلق عليها ابن الأثير الـدولة الأتابكية نسبة الى لقب أتابك الذي أطلق على عماد الدين ـ مؤسس الدولة ـ ولقب بذلك لقيامه على تربية الملك ألب أرسلان ابن السلطان محمد السلجوقي • وذلك حين ولاه السلطان محمود إمرة الموصل سنة ٥٢١هـ[١] •

طبعت من الكتاب أجزاء مع ترجمة فرنساوية باعتناء العلامـة « دى جيجنس » والعلامة « رينول » في باريس سنة ١٨٣٩م[٢] •

وطبع الكتاب فى باريس سنة ١٨٧٦م فى ٤٠٠ صفحة مع ترجمة فرنسية ، بقطع كبير ، نصف الصفحة عربى والنصف الآخر فرنسي ، فى جملة المكتبة الصليبية[٣] •

■ ونشره عبـد القادر أحمـد طليمات عـام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣م) بعد أن نال بتحقيقه درجة الماجستير فى التاريخ

---

(١) تاريخ آداب اللغة ص : ٨٨ .
(٢) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص : ٧٣ .
(٣) تاريخ آداب اللغة ص : ٨٨ ج : ٣

الإسلامى من كلية الآداب ـ جامعة عين شمس بمصر عام ١٩٦٢م (١٣٨١هـ) .

واعتمد في تحقيقه على مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس وكتب له مقدمة فى ٢٦ صفحة ، تشمل ترجمة لابن الأثير ، وخطة المحقق ، ووصفا لمخطوطة الكتاب ، والطبعة التيخرج بها عام ١٨٧٦م ، على يد المستشرق الفرنسى « دىسلين » وهى الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية الشرقيـين .

وقـد بذل المحقـق طليمات جهـوداً كبيرة جـداً ـ والحق يقال ـ في العناية بالكتاب . ففيه من الحواشي والتعليقات الشيء الكثير ، وجاءت مقدمته ـ كما أسلفت ـ في ٢٦ صفحة ، والنص في ١٠٤ صفحات من القطع الكبير . وصنع له فهارس للاعلام والأماكن والبلدان والمصطلحات والموضوعات ومقدمة باللغة الإنجليزية في ثلاث صفحات .. ورجع المحقق الى ٣٢ مرجعاً في تحقيق الكتاب .

وليس لي أي ملاحظات على صنيع المحقق سوى أنه لم يتنبه للسقط الذي فىأول مقدمة المؤلف فىقوله (أمابعد .. والذي غمرنا من إنعام هذه الدولة العزيزة القاهرة ، والأيام الأتابكية الزاهرة ، وشملنا من إحسانها ، وأنالتنا

من عز سلطانها ، فقد اشتهر خبره ، وطاب مخبره وطار ذكره في الآفاق ...) فالكلام هنا غيرمستقيم ولابد أن فيه سقطا .

كذلك لم يشر المحقق الى (مهمة) الحروف والأرقام التى وضعها فى ثنايا الصفحات والتى تبلغ أكثر من ألف رقم وحرف . (والتى يظهر لي أنها لصفحات المخطوطة) ولكنها قد (تشوش) على القارىء الذي يصطدم بها بعد كل بضعة أسطر دون أن يعرف المقصود منها ..

■ وفيما يلي ملاحظات المحقق على الكتاب :

١ ـ ترجم ـ ابن الأثير ـ لبعض الشخصيات التى لا تمس موضوع الكتاب إلا مساً خفيفاً ، مثل ترجمته للطغرائى ، ونظام الملك ، وسليمان بن قتلمش ، وفاطمة بنت عبد الملك بن مروان .

٢ ـ لم يدون أخبار الصراع بين الزنكيين ـ خلفاء نور الدين ـ وبين صلاح الدين وخلفائه ، وسبب ذلك أن أخبار هذا الصراع تظهر ضعف الزنكيين أمام صلاح الدين وخلفائه ، وهزائمهم في حروبهم معهم ، كذلك تثبت أخبار الصراع خضوع الزنكيين لصلاح الدين وخلفائه خضوعا تاماً ، فتجنب ابن الأثير إثبات هذه الأخبار التى تجرح أصحابها ، لئلا يخدش كبرياء الملك القاهر الذي ألف له

الكتاب ، واكتفى بإحالة القارىء الى كتابه الكبير « الكامل في التاريخ » •

٣ ـ كذلك خرج فى بعض الحوادث على مبدأ الحيدة الذى اتبعه فى كتابه الآخر ، ففي الكامل فسر هذهالحوادث من واقعها وعلى وجهها الصحيح ، بينما فسرها في «الباهر» تفسيرا مخالفا ، إرضاءاً للملك القاهر •

٤ ـ وضغط ابن الأثير بعض الاخبار في «الباهر» ضغطا كبيراً فجاءت قليلة التفاصيل ، وان كان قد حرص على إحالة القارىء الى كتابه « الكامل » للاستزادة من تفاصيل الخبر ••

٥ ـ والملاحظة الأخيرة ، وجود اختلاف في تواريخ بعض الحوادث والاخبار بين «الباهر» و «الكامل» •

□ ● □

وقد كتب ابن الأثير كتابه « الكامل » بأسلوب المؤرخ الذي تهمه المادة التاريخية أكثر مما تهمه البلاغة والأساليب البيانية ، فهو فى «الكامل» يسرد حقائق بعبارات موجزة ، بينما جمع في «الباهر» بين المؤرخ والأديب ، فاستعمل السجع بتوسع كبير ، وذلك لكي يتيسر له الوصف المؤثر في المناسبات الخطيرة ، مثل وصفه المعارك التى دارت بين

الصليبيين وبين عماد الدين ونور الدين ، وغير ذلك من المناسبات ، فنجد مثلا أنه افتتح كتابه بمقدمة مسجوعة ، وختمه أيضا بخاتمة مسجوعة .

وذكر ابن الأثير في مقدمة الكتاب ، أنه اعتمد في مادته على ماسمعه من والده ، وقد أكثر من الرواية عنه ، غير أنه ذكر مصادر أخرى رجع إليها — وان كان رجوعه اليها فى مناسبات قليلة — مثل : « تاريخ دمشق » لابن عساكر ، و « أخبار حلب » لابن العديم ، والعماد الكاتب من بعض مصنفاته، كذلك نقل عن بعض الشخصيات المعاصرة للحوادث ذكر أسماء بعضها وأهمل ذكر بعضها الآخر ، فضلا عن أن مادة الكتاب ، هي نفس مادة كتاب « الكامل » مع فارق واحد هو فارق الأسلوب[1] .

ولعل من المفيد إبراز مقتطفات من مقدمة ابن الأثير :

قال فى سياق حديثه عن أسرة الأتابكة :

« وكنت عازماً على أن أدون أخبارهم ، وأجمع آثارهم ، وأذكر ما منّ الله سبحانه على الاسلام والمسلمين ، وما حفظ من ثغورهم بجلادهم ، وما صب على الفرنج من العذاب بأيديهم ، واستنقذه من ممالكهم بجهادهم .

(1) نفس المصدر السابق .

وكانت الأعذار تحول بيني وبين ما أؤمله من هـذا الغرض .. ولما استأثر الله تعالى بالمولى السعيد نور الدين، وقام بالملك بعده ولده .. المولى أبو الفتح مسعود بن أرسلان .. وحيث كانت الحال هذه ، تجدد ذلك العزم ، وأحببت أن أجلو مناقب الموالي الملوك السعداء .. وأذكر من مشاهدهم فى نصرة الدين ، وذبهم عن حوزة المسلمين ، ما انتهى إليه علمي ونقلت أكثره عن والدى رحمه الله تعالى ، فإنه كان راوية حسناتهم ، وعين الخبر بحركاتهم وسكناتهم ، وقد فاتنى كثير مما سمعته منه ، لأننى جمعت هذا القدر من حفظى بعد وفاته ولم أثبته بقلمي فى حياته »[1] .

٣ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة

معجم أبجدى فى تراجم الصحابة .. وصفه الذهبى فى « تجريد أسماء الصحابة » ـ الذى هو مختصر أسد الغابة ـ بـ (أنه نفيس مستقص لأسماء الصحابة الـذين ذكروا فى الكتب الأربعة المصنفة فى معرفة الصحابة ، وهي : كتاب ابن منـده ، وكتاب أبى نعيم ، وكتاب أبى موسى الأصبهانيين ـ وهو ذيل كتاب ابن منده ـ وكتـاب ابن

(١) الصفحات ١ـ٣ .

عبد البر) . وقال ابن حجر ـ مؤلف الإصابة فى تمييز الصحابة ـ عن « أسد الغابة » .. (جمع فيه كثيرا من التصانيف المتقدمة ، إلا أنه تبع من قبله ، فخلط من ليس صحابياً بهم ، وأغفل كثيراً من التنبيه على كثير من الأوهام الواقعة فى كتبهم ، ثم جرد الأسماء ... الخ) .

قال ابن خلكان إنه فى ست مجلدات كبار . والسخاوى ذكر أن من جاء بعد « أسد الغابة » عول عليه ، حتى أن كلا من النووي ، ومحمد الكاشغري المتوفى سنة ٧٠٩ اختصره، واقتصر الذهبى على تجريده ، وزاد عليه العراقى عدة أسماء.

وللشيخ الفقيه بدر الدين محمد بن أبى ذكريا مختصر له ، اسمه : « درر الآثار وغرر الأخبار » .

■ طبع الكتاب في القاهرة في خمس مجلدات كبيرة سنة ١٢٨٠ هـ ، وفيه نحو ٧٥٠٠ ترجمة بالأسانيد ، طبعته جمعية المعارف المصرية ..

■ وقد أعادت « المكتبة الاسلامية » بطهران طباعة « أسد الغابة » بـ « الأوفست » عن الطبعة المصرية ، وكتب شهاب الدين الحسنى المرعشي النجفي مقدمة لهذه الطبعة في ترجمة المؤلف ابن الأثير ، والتعريف بالكتاب .. في ست صفحات جاء فيها قوله ..

« .. ثم هذه النسخة عرضتها وقابلتها على نسخة مخطوطة ناقصة وأتعبت النفس فى التصحيح بالمراجعة إليها ، والى الموارد التى نقلت عن « الأسـد » ، والى « الإصابة » ، و « الجمع بين الصحيحين » و « الحلية » و « خلاصة تهذيب الكمال » لصفى الدين الخزرجى ؛ و « التقريب » و « المغنى » و « طبقات المدلسين » وكتب السير وغيرها ، فصارت صحيحة حرية بالإعتماد عليها والإستناد إليها ، فأعرف قدرها ولا ترخص مهرها ، فانها أصبحت بعد هذه المتاعب من النفائس والجواهر التى يتنافس فيها ، وتتحمل المتاعب فى تحصيلها »[١] .

■ وأخيرا قامت دار الشعب المصرية بطباعة «أسد الغابة» ضمن سلسلة « كتاب الشعب » فى سبعة مجلدات تزيد صفحاتها عن ٣٦٠٠ صفحة .. وضمت تراجم لـ ٧٧٠٣ من الصحابة ، وفى المجلد الأول ست صفحات مقدمة كتبهـا المحققون (الذين لم تذكر أسماؤهم) .. وفى المجلدات من الثانى الى الرابع ذكر أنه تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبد الوهاب فايد ، وفى المجلدات الثلاثة الأخيرة لم يذكر سوى الاسمين

(١) ص : ٧

الأولين من المحققين •• واستغرقت طباعة الكتاب من سنة ١٣٩٠هـ الى سنة ١٣٩٣هـ •

ومن الطريف أن دار المعارف النظاميـــة بحيدر أباد « الهند » طبعت « تجريد أسماء الصحابة » للذهبى ، سنة ١٣١٥ هـ ونسبته ــ فى الجزء الأول منه ــ لابن الأثير عز الدين المؤرخ اعتمادا على النسخ الموجودة •• ثـــم تراجع الناشر وأورد ماقاله « ابن حجر » من أن الذهبى جرد أسماء الصحابة ، اختصارا لأسد الغابة لابن الأثير •• فنسب التجريد ــ فى بقية الأجزاء ــ لصاحبه الذهبى ••

■ هذه نبذ مما قاله عز الدين في مقدمة كتابه ، وفيها يوضح قصة تأليفه ونهجه فيه ••

« الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله •• أما بعد فلاعلم أشرف من علم الشريعة ••• فإنه يحصل به شرف الدنيا والآخرة ••• والأصل فى هذا العلم كتاب الله ، وسنة رسوله ••• فأما الكتاب العزيز فهـــو متواتر مجمع عليه ، غير محتاج الى ذكر أحوال ناقليه ، وأما سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى التى تحتاج الى شرح أحوال رواتها وأخبارهم ، وأول رواتها أصحاب رسول الله ••• ولم يضبطوا ، ولا حفظوا فى عصرهم كما

فعل بمن بعدهم من علماء التابعين وغيرهم الى زماننا هذا ، لأنهم كانوا مقبلين على نصرة الدين وجهاد الكافرين •

ولا خفاء على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن من تبوأ الدار والإيمان من المهاجرين والأنصار ، والسابقين الى الإسلام ، والتابعين لهم بإحسان ••• أولى بالضبط والحفظ ، وهم الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون بتزكية الله سبحانه لهم •

وقد جمع الناس فى أسماء الصحابة كتبا كثيرة ••• فلما نظرت فيها رأيت كلا منهم قد سلك فى جمعه طريقا غير طريق الآخر ، وقد ذكر بعضهم أسماء لم يذكرها صاحبه

فرأيت أن أجمع بين هذه الكتب ، وأضيف إليها ماشذ عنها ••• فعزمت أن أجمع بين كتب « ابن منده » و «أبى نعيم» و « أبى موسى » و « ابن عبد البر » ، وكانت العوائق تمنع ، والأعذار تصد عنه • وكنت حينئذ ببلدي ، وفي وطنى ، وعندى كتبى ، وما أراجعه من أصول سماعاتى ، وما أنقل منه ، فلم يتيسر ذلك لصداع الدنيا وشواغلها (!)

فاتفق أني سافرت الى البلاد الشامية عازما على زيارة البيت المقدس ، فلما دخلتها اجتمع بى جماعة من أعيان المحدثين فكان فيما قالوه إننا نرى كثيرا من العلماء الذين

جمعوا أسماء الصحابة يختلفون في النسب والصحبة ••• وحثوا عزمي على جمع كتاب لهم في أسماء الصحابة •••• فاعتذرت إليهم بتعذر وصولي الى كتبي وأصولي ، وأنني بعيد الدار عنها • ولا أرى النقل إلا منها ، فألحوا في الطلب •• فثار العزم الأول وتجدد عندي ماكنت أحدث به نفسي وشرعت في جمعه والمبادرة إليه ••

ثم انني عدت الى الوطن بعد الفراغ ، وأردت أن أكثر الأسانيد وأخرج الأحاديث التي فيه بأسانيدها ، فرأيت ذلك متعباً يحتاج أن انقض كل ماجمعت فحملني الكسل وحب الدعة والميل الى الراحة الى أن نقلت ماتدعو الضرورة إليه ، مما لا يخل بترتيب ، ولا يكثر الى حد الإضجار والإملال ، ••• وأنا أذكر كيفية وضع هذا الكتاب ليعلم من يراه شرطنا وكيفيته والله المستعان فأقول •••• الخ » •

٤ ـ اللباب في تهذيب « الأنساب »

اختصر فيه كتاب الأنساب لأبي سعد عبد الكريم السمعاني ، واستدرك عليه فيه مواضع ، ونبه على أغلاط ، وزاد أشياء أهملها السمعاني ، واللباب كتاب مفيد جدا ، ذكر ابن خلكان أنه في ثلاث مجلدات والأصل في ثمان • وقال ابن العماد إنه في مقدار نصف أصله •• وأقل •

وصف السخاوي « اللباب » بقوله (ومن أعظم هذه الكتب ـ الكتب التى ألفها بعض المؤرخين باسم الأنساب يضبطون فيها النسبة ويذكرون كبار من ينسب إليهم وسبب شهرة المترجم بها ـ كتاب الأنساب للسمعاني لكنه ـ كما يقول ابن الأثير وغيره ـ مات قبل تهذيب الكتاب ، فجاء فيه أغلاط فى الضبط وتحقيق الأنساب ، وإهمال في ضبط بعض النسب ، وفوات لكثير من الأنساب، وغير ذلك ، فنهض لاستدراك ذلك كله عزالدين ابن الأثير).

■ وقد طبع عام ١٨٣٥م باعتناء المستشرق « وستنفلدغوتا » في « غوتنغن ».

■ وطبع الكتاب في القاهرة سنة ١٣٥٧هـ ، ثلاثة أجزاء في مجلدين ، نشرته مكتبة القدسي عن نسخة الخزانة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية ، وهناك خطأ في تاريخ طباعته ، حيث ذكر في المجلد الأول أنه طبع سنة ١٣٥٧ هـ بينما في المجلد الثاني أنه طبع سنة ١٣٥٦ هـ ، والمفروض أن يكون العكس اذا كان كل مجلد طبع في سنة.

■ ومقدمة ابن الأثير في «اللباب» جيدة، تظهر بوضوح أسباب تأليف الكتاب .. كما أنه فيها لا يغمط السمعاني حقه وفضله بل يعترف له بالسبق والجهد .. جاء فيها :

(أما بعد فإنى رأيت العلم بالأنساب داثرا ، والجهل به ظاهرا ، وهو مما يحتاج طالب العلم إليه ، ويضطر الراغب في الأدب والفضل الى التعويل عليه ، وكثيرا ما رأيت نسبا الى قبيلة أوبطن أو جد أوبلد أوصناعة أو مذهب أوغير ذلك وأكثرها مجهول عند العامة ، غير معلوم عند الخاصة ، فيقع في كثير منه التصحيف ، ويكثر الغلط والتحريف .

وكانت نفسي تنازعني الى أن أجمع في هذا كتاباحاويا لهذه الأنساب ، جامعا لما فيها من المعارف والآداب ، فكان العجز عنه يمنعنى ، والجهل بكثير منه يصدنى ، ومع هذا فأنا ملازم الرغبة فيه ، معرض عما يباينه وينافيه ، كثير البحث عنه والإقتباس .

فبينما أنا أحوم على هذا المطلب ثم أجبن عن ملابسته ، وأقدم عليه ثم أحجم عن ممارسته ، إذ ظفرت بكتاب مجموع فيه ، قد صنفه الإمام الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعانى شكر الله سعيه وأحسن منقلبه ، فنظرت فيه فرأيته قد أجاد ماشاء ، وأحسن في تصنيفه وترتيبه وما أساء، فما لواصف أن يقول لولا أنه ، ولا لمستثن أن يقول إلا أنه ، فلو قال قائل إن هذا تصنيف لم يسبق إليه لكان صادقا ، ولوزعم أنه قد استقصى الأنساب لكان

بالحق ناطقا ، قد جمع فيه الأنساب الى القبائل والبطون كالقرشي والهاشمي ، والى الآباء والأجـداد كالسليماني والعاصمي ، والى المذاهب في الفروع والأصول كالشافعي والحنفي والحنبلي والأشـعري والشيعي والمعتزلي ، والى الأمكنة كالبغدادي والموصلي ، والى الصناعات كالخياط والكيال والقصاب والبقال ، وذكر أيضا الصفات والعيوب كالطويل والقصير والأعمش والضرير ، والألقاب كجزرة وكيلجة . فجاء الكتاب في غاية الملاحظة ونهـاية الجودة والفصاحة ، قد أتى مصنفه بما عجز عنه الأوائل ، ولايدركه الأواخر ، فإنه أجادترتيبه وتصنيفه، وأحسن جمعهوتأليفه..

فلما رأيته فردا في فنه ، منقطع القرين في حسنه أمعنت مطالعته فرأيته قدأطال واستقصى حتىخرج عنحدالأنساب، وصار بالتواريخ أشبه . ومع ذلك ففيه أوهام قد نبهت على ما انتهت إليه معرفتي منها وهي في مواضعها .

فشرعت حينئذ فياختصار الكتاب ، والتنبيه على مافيه من غلط وسهو ، فلا يظن ظان أن ذلك نقص في الكتاب أو في المصنف .. كلا والله وإنما السيد من عدت سقطاته وأخذت غلطاته، فهي الدنيا لايكمل فيها شيء ، وكيف يكمل تصنيف والله تعالى يقول عن القرآن العزيز (ولو كان من

عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا)[1] •

وينحصر مقصود هذا الكتاب الذي وضعته عليه في أحد عشر نوعا » •

وبدأ يعددها واحـداً واحداً •• وفي السادس قال ــ بعد أن ذكر بعض الأخطاء في « أنساب » السمعاني ــ :

« ولا أعلم سبب ذلك ، عـلى أن غالب ظني فيـه ــ رحمه الله تعالى ــ أنه لم يشتبه عليه ، ولعله قد عاجلته منيته قبل تهذيب الكتاب ، وإعادة النظر فيه على وجـه الإعتبار والإصلاح » •

وفي النوع العاشر قال :

« اذا عثرت على وهم في كتابه بينته وأظهرت الحق فيه لا قصدا لتتبع العثرات ــ علم الله ــ ولا إظهارا لعيبه ، وإنما فعلت ذلك إرادة لإظهار الحق لينتفع به الناس ، وأن أنزه نفسي عن أن يقال رأي الخطأ فلم يعرفه » •

ولقد بقيت مدة أُقَدِّم الى هذا الغرض رجلا وأؤخر أخرى الى أن قوي في ظني أن فعله أولى بالصواب وأحرى ؛ والأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » •

ثم أضاف ــ فى النوع الحادي عشر ــ :

---

(١) ٨٢ سورة النساء

« واعتمدت في أكثر ما نقلته على ماذكره هشام الطلبي لأنه أشهر علماء النسب ، وأحفظهم له ، وأقلهم وهما ، ولم أكثر من نقل أقاويل الجميع لئلا يطول الكتاب وبالله التوفيق ولم أستدرك عليه إلا بما كان قبله وفي أيامه ، وأما من حدث بعده فلا .. لأنه بالتذييل أولى منه بالإستدراك .

فهذا هو شرط كتابي الذي سلكته في تصنيفه ، وهو وإن كان سهلا ـ لتحمل أبي سعد العبء الثقيل فيه ، وجمع الأشتات المتفرقة إليه ، والتعب في جمعه وتصنيفه ـ فلى أيضاً تعب الإختيار ، وجودة الترتيب ، والبحث عن الحق ليعلم .. الى غير ذلك مما ذكرته »[1] .

■ وكما أوردت أجزاء من مقدمة « اللباب » فيحسن إيراد خاتمته لأنها طريفة وفيها معلومات ينبغي الإلمام بها .. قال ابن الأثير عز الدين رحمه الله :

« وهذا ما أردنا تهذيبه من كتاب النسب ، وقد أتينا على آخره حسبما شرطنا ، وكنت عازما على استقصاء مافاته ، فاتفق أن الكتاب نسخ ، وسار في البلاد فلم أر أن أفسده ، فاقتصرت على هذا القدر .

ثم إن فسح الله في العمر ، ووفق العمل ، أجمع كتابا

(١) اللباب في تهذيب الأنساب . الصفحات : ٤ـ٩

ذيلا عليه ، وأضيف إليه من الأنساب ماحدث بعده ، وأجعله كتابا منفردا إن شاء الله تعالى •• والله سبحانه وتعالى المسئول أن يجعل ذلك خالصا لوجهه ، وأنا أسأل كل واقف على كتابي هذا أن يسأل الله تعالى المغفرة لي ولوالدي ، وأن يتغمد إساءاتي بعفوه ورحمته ، انه جواد كريم » •أ هـ

وللسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ كتاب اسمه « لب اللباب في تحرير الأنساب » يشتمل على كتاب اللباب لابن الأثير ، وقد طبع مع ملحق في « ليدن » من عام ١٨٤٠ الى عام ١٨٥١م ، باعتناء بطرس يوحنا فاث ، فكتاب « لب اللباب » يغني عن « اللباب »[١] •

٥ ــ تحفة العجائب وطرفة الغرائب

نسبه الزركلي في « الأعلام » لعز الدين ابن الأثير وقال إنه مخطوط ، بينما خطأه الدكتور صلاح الدين المنجد وقال إن نسبة الكتاب لابن الأثير غير صحيحة ، وإنما هو لرجل آخر متأخر عنه ، وقال بروكلمان إن هذا الكتاب نسب لمجد الدين المبارك لكنه ليس له وربما كان لأبي الفداء ابن الأثير كما ذكر أنه موجود في باريس والقاهرة •

ووصف حاجي خليفة في « كشف الظنون » ــ تحفة

(١) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص : ٧٣

العجائب ــ بقوله (جمعها ــ عز الدين ــ من كتب عديدة .. وأولها « الحمد لله رب الأرباب ومنشيء السحاب » ... الخ ورتبها على أربع مقالات[1] .

وبعضهم ينسب « التحفة » لضياء الدين ابن الأثير . وقال عبد القادر طليمات ــ محقق « التاريخ الباهر » : إن لابن الأثير عز الدين كتاباً لا يمت الى التاريخ بصلة ، عنوانه « تحفة العجائب وطرفة الغرائب » ــ وأضاف ــ ولعل ابن الأثير أراد أن يرفه عن نفسه بتأليفه هذا الكتاب ، فجمع فيه ما استرعى انتباهه من قراءاته المختلفة ..

ثم تراجع طليمات وقال إنه اعتمد ــ فيما ذكره عن تحفة العجائب ــ على كشف الظنون ، وفهرس دار الكتب المصرية ، وأنه لما كان بسبيل إصدار كتاب عن ابن الأثير ومؤلفاته فقد رجع الى كتاب « تحفة العجائب » فتبين أنه منسوب خطأ لابن الأثير ، ففي اللوحة ٤٥ ينقل المؤلف عن كتاب « كنز الدرر وجامع الغرر » لأبي بكر بن أيبك صاحب صرخد ، من رجال القرن الثامن . وفي اللوحة ٦٥ ينقل المؤلف عن ابن الأثير خبرا يستهله بقوله « ومن غريب ماذكر ابن الأثير في تاريخه »[2] .

---

(١) كشف الظنون ج : ١ ص : ٣٦٩ (٢) مقدمة محقق التاريخ الباهر .

أما الدكتور داود الجلبي (الموصلي) فقد رأى في مكتبة المدرسة العثمانية بحلب كتاباً عنوانه « تحفة العجائب وطرفة الغرائب » ذكر في فهرس المكتبة بين كتب فن الطب والتشريح ، وعلى غلافه أنه تأليف العلامة ابن الأثير . وأوله قوله « بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر ياكريم ، المقالة الأولى في الأجسام المتولدة من المعادن ، وتشتمل على ثلاثة أبواب وفصول ، الباب الأول في المعادن .. الثاني في النبات .. الثالث في أصناف الحيوانات وعجائبها الخ .

والكتاب غفل من التاريخ ، ولم يرد في النسخة الحلبية ذكر لمقالة الثانية ، مما يتبادر معه إلى الذهن أنها الجزء الأول من الكتاب ، ولا يوجد في تلك المكتبة غير هذا الجزء ، وصاحب كشف الظنون ذكر أن الكتاب من أربع مقالات .

ويوجد في خزانة كتب الأزهر قطعة من الكتاب في ٦٨ ورقة ، وليس عليها اسم المؤلف .

وفي خزانة الكتب الأهلية بباريس نسخة من هذا الكتاب مرتب على أربع مقالات ..

الأولى : تبحث عن السماء والأرض .

الثانية عن عجائب الدنيا ، والزمان ، والليالي ، والأنهار

الثالثة : عن عجائب البحار، والأنهر ، والعيون، والجبال
الرابعة : عن المعادن ، والنبات ، والحيوان .

فعلى هذا تكون مخطوطة حلب هي المقالة الرابعة من الكتاب

ثم بحث الدكتور الجلبي عن مؤلف الكتاب ، وإذا كان ابن الأثير ، فأي أبناء الأثير الثلاثة هو ؟ لأن النسخ الثلاث لم يوضح فيها شيء من ذلك . وانفرد « جورجي زيدان » بنسبته لعز الدين المؤرخ ..

واستغرب الدكتور الجلبي أن يغفل ابن خلكان نسبة الكتاب لمؤلفه من أبناء الأثير لو كان لأي منهم ! .

ومما زاد الشك ـ لديه ـ أن الكتاب ليس لواحد من أبناء الأثير .. العبارة التي وردت فيه .. وهي : (منها ما أخبر بعض الفقهاء بالموصل أنه شاهد في الأكراد ـ وهم جيل يسكنون بعض بلاد الموصل ـ إنساناً طوله تسعة أذرع .. أراد صاحب الموصل أن يستخدمه .... الخ) وهذه العبارة لا ينتظر أن يأتي بها واحد من أبناء الأثير ـ وهم أبناء الموصل ـ بل إنها كلام لرجل لم ير الموصل ولا عرف شيئاً عنها ، ولا عن الأكراد ومواطنهم ، ولا اسم صاحب الموصل يومذاك ، ولا اسم الفقيه الذي شاهد الكردي .
وذكر الجلبي أسماء سبعة رجال كل منهم يدعى

« ابن الأثير » ـ غير أبناء الأثير الثلاثة ـ وتساءل : أيهم ياترى ألف تحفة العجائب ؟

وكاد يجزم أن مؤلفها هو عماد الدين اسماعيل بن أحمد ابن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخي الحلبي شارح قصيدة ابن زيدون[1] .

وكل ماتقدم يدل على أن مؤلف « تحفة العجائب » هو شخص آخر متأخر عن ابن الأثير عز الدين ، وهذا مايراه أيضا عبد القادر طليمات ، والدكتور المنجد ، والدكتور الجلبي .

٦ ـ تاريخ الموصل

لم يتمه ، ذكره الزركلي وغيره .

٧ ـ آداب السياسة

ذكره صاحب كشف الظنون ، وقال ان ملخصه : « مصابيح أرباب السياسة ، ومفاتيح أبواب الكياسة » لابراهيم بن يوسف المعروف بابن الحنبلي المتوفى سنة ٩٥٩هـ .

كما ذكر هذا الكتاب «آداب السياسة» في هدية العارفين

---

(١) مجلة المجمع العلمي السوري شهر ذي القعدة سنة ١٣٦٧هـ (اكتوبر ١٩٤٨م)

٨ ـ كتاب الجهاد

ذكره صاحب « كشف الظنون » و « هدية العارفين » وأضاف حاجي خليفة أنه كما لابن الأثير مؤلف باسم « كتاب الجهاد » فكذلك لكل من : ابن سليمان حمد بن محمد الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ، والإمام عبد الله بن المبارك الحنظلي المتوفى سنة ١٨١هـ ، وثابت بن نذير القرطبي المالكي المتوفى سنة ٣١٨هـ لكل من هؤلاء مؤلف بنفس الاسم .

٩ ـ الجامع الكبير في البلاغة

جاء ذكره ـ منسوبا لعزالدين المؤرخ ـ في معجم المؤلفين ، وكشف الظنون ، وهدية العارفين ، ووسم هناك بـ « الجامع الكبير في علم البيان » .

وقال حاجي خليفة إن أول الكتاب هو : (الحمد لله مبدىء النعم .. أولا وآخرا ... الخ) وهذا النص هو أول كتاب « الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنشور » لابن الأثير ضياء الدين نصر الله .

وجزم الدكتور صلاح الدين المنجد أن هذا الكتاب لضياء الدين وليس لعز الدين .

ابن الأثير ضياء الدين نصر الله
الكاتب الاديب

الثالث — ابن الاثير ضياء الدين نصر الله الاديب الكاتب

٥٥٨ — ٦٣٧ هـ

١١٦٣ — ١٢٣٩ م

كنيته : أبو الفتح ، ولقبه : ضياء الدين ، واسمه : نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد .. اللغوي الكاتب الوزير .

ولد بجزيرة ابن عمر — يوم الخميس العشرين من شهر شعبان سنة ٥٥٨ هـ — ونشأ بها ، ثم انتقل مع والده الى الموصل وبها حصل العلوم ، وحفظ كتاب الله الكريم ، وكثيرا من الأحاديث النبوية ، وشيئا من النحو واللغة وعلم البيان ، وشيئا كثيرا من الأشعار ، حتى أنه قال « وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة مالا أحصيه كثرة » ، وعرف عنه أنه قوي الحافظة جدا .

كان يعارض « القاضي الفاضل » في رسائله ، فاذا أنشأ « الفاضل » رسالة أنشأ مثلها ، وكانت بينهما مكاتبات ومجاوبات ، ولم يكن له في النظم شيء حسن .

جزم محققا « الجامع الكبير » ، أن ياقوتا الحموي

ترجم نصر الله ، وضاعت ترجمته من الجزء السابع من « معجم الأدباء » .

وللدكتور محمد زغلول سلام ـ المدرس بكلية الآداب بفرع جامعة القاهرة في الخرطوم ـ كتاب عن ضياء الدين أسماه « ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد » صدر عام ١٩٥٦م (١٣٧٦هـ) في ٣٩٦ صفحة ، ثم عمد الى اختصار كتابه هذا وأصدرته دار المعارف بمصر ضمن سلسلة (نوابغ الفكر العربي) بعنوان : « ضياءالدين ابن الأثير » وجاء في ١٠٦ صفحات .. (لم تذكر سنةطباعته!)

وألف محمد عبد الرحمن شعيب كتاباً عنوانه : « ابن الأثير ومقاييسه البلاغية » .

أما المستشرق « مرجليوث » فله رسالة في ضياء الدين قدمها لمؤتمر المستشرقين العاشر .

ويظهر أن ابن الأثير يعرف لغات أخرى غير العربية ، يدل على هذا قوله « وكنت سافرت الى بلاد الروم في سنة ستمائة ، فلما دخلت مدينة ملطية ، أخبرت عن خطيبها أن عنده أدباً ، وأنه يقول الشعر ، فقصدت لقاءه وألفيته كما أخبرت عنه ، وعرض علي قصيدا من شعره وهي مائة بيت ؛ كل عشرين منها على لغة ، فكان متضمنا خمس لغات :

العربية ، والفارسية ، والتركية ، والرومية ، والارمنية ، فالجميع على وزن واحد وقافية واحدة إلا أنه كان في غير اللغة العربية أبرع منه في اللغة العربية ، وهذا من أغرب ما شاهدته .. » وقوله في المثل السائر : « واعلم أن هذين القسمين من الكناية والتعريض ، قد وردا في غير اللغة العربية ، ووجدتهما كثيرا في اللغة السريانية ، فإن الإنجيل الذي في أيدى النصارى قد أتى منهما بالكثير .. ومما وجدته من الكناية فيلغة الفرس أنه كان رجل .... الخ).

ولم يكن ابن الاثير يحسن الكتابة فقط ، بل قد شهد الحروب مع صلاح الدين ، فهاهو يقول في إحدى رسائله « وكنت في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بأرض فلسطين في الجيش الذي كان قبالة العدو الكافر من الفرنج لعنهم الله ، وتقابل الفريقان على مدينة يافا ، وكان الى جانبى ثلاثة فرسان من المسلمين ، فتعاقدوا على الحملة الى نحو العدو ، فلما حملوا صدق منهم اثنان وتلكأ واحد ... » وفي مواضع كثيرة من كتبه ورسائله نجده يسهب في وصف الحرب ،وآلاتها ويتحدث عن القتال .

ضياء الدين .. الأديب الكاتب

قال (أنيس المقدسي) فيمقدمته لرسائل ابن الأثير

« ومما لا ريب فيه أن ضياء الدين من طبقة البارزين بين الأدباء القدماء » •

ورأي (عمر الدسوقي) في ابن الاثير قاله في كلمة صدر بها كتاب «الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان» •• قال « ضياء الدين ابن الاثير علم من أعلام النقد العربي القديم ، يتمتع بشهرة واسعة ، ولآرائه وأحكامه في النقد منزلتها طبقا لأقيسة النقد العربي ، لما رزقه من ذوق مرهف ، وعلم غزير ، وجرأة نادرة ، ورأي حصيف » •

أما (حفني محمد شرف) محقق « الاستدراك » فرأيه في ابن الاثير هو « الناقد الحر ، الذي مارس الادب وصناعته وعالج الشعر ونقده ، وتبحر فيه علما وأدبا ، ووضع للنقد أصولا وقواعد •• » •

وللدكتور بدوي طبانه آراء في ضياء الدين ضمنها دراسته لكتاب « المثل السائر » المنشورة في تراث الانسانية •• منها : « وابن الاثير هو الذي سمى البلاغة علم البيان ، أو سمى بهذا الاسم دراسة أصول فن الكتابة وفن الشعر ، فعلم البيان عنده هو علم أصول الأدب الذي يستخرج أحكامه ويبين خصائصه ، كما أن علم الأصول هو علم استخراج الأحكام وأدلتها ، ومن هنا كان علم البيان ضروريا للأديب

كما كان علم الأصول ضروريا للفقيه ، ولم يكن ابن الأثير جامعاً أو ناقلاً فحسب ، ولكننا نرى شخصيته بارزة في كل موضوع عالجه ، ونرى أنه يمس سائر الآراء مس الخبير » •

ضياء الدين السياسي

التحقق ضياء الدين نصر الله بخدمة الناصر صلاح الدين سنة ٥٨٧هـ بعد أن سعى له « القاضي الفاضل عبد الرحمن البيساني » بذلك •

ثم طلبه الأفضل نور الدين علي ابن صلاح الدين فخيره صلاح الدين بين الإقامة في خدمته ، أو الانتقال الى ولده ، فاختار ولده ومضى اليه ، فاستوزره الأفضل •

ولما توفي السلطان صلاح الدين ، واستقل الأفضل بحكم دمشق ـ لأنه أكبر إخوته ـ أخذ الناس عليه أمورا •• منها اتجاهه للهو واللعب ، واحتجابه عن الرعية ، حتى أنه سمي « الملك النوام » ، ومنها أنه فوض أمور الناس لوزيره ضياء الدين ، وحاجبه الجمال محاسن بن العجمى •

وكان ضياء الدين تصرف ـ في وزارته ـ تصرفات غير حسنة ، كرّهته للناس ، وجعلتهم ينقمون عليه ، ويتحينون الفرص للفتك به •• ومن تلك الأمور :

١ ـ إساءة السيرة مع الناس وظلمهم ••

٢ ـ إثارة الفتن بين الملك الأفضل علي وأخيه العزيز عثمان ـ عدة مرات ـ لأنه كان يشير على الأفضل بعدم الصلح مع العزيز مخالفا بذلك آراء الكثيرين الذين يرون إجراء الصلح، وحقن الدماء، وحفظ ثغور المسلمين المهددة .

٣ ـ تسببه في طرد أمراء صلاح الدين وأكابر أصحابه من قبل الملك الأفضل بتحريض من ضياء الدين، حتى لجأوا للعزيز في مصر، فأكرمهم وعينهم في أعمال له .

٤ ـ مضايقته لـ « القاضي الفاضل » مما اضطره الى الرحيل عن الشام، والتوجه لمصر حيث العزيز الذي أكرمه وقدره، والفاضل هذا هو الذي مهد السبيل أمام ضياء الدين للإلتحاق بخدمة صلاح الدين وولده الأفضل .

وكثيرون أشاروا على الملك الأفضل الذي استولى عليه الوزير ابن الأثير والحاجب ابن العجمي، بعزل وزيره حتى أن عمه العادل أرسل إليه يقول : « ارفع يد هذا الأحمق السيء التدبير القليل التوفيق »[1] .

وكثيرون أيضا أشاروا على العزيز بتدارك أخيه الأفضل، فقد قال له الأمير عز الدين أسامة « فاقصد البلاد قبل أن يحصل في الدولة من الفساد مالا يمكن

---

(١) النجوم الزاهرة ج : ٦ ، ص : ١٢٥

تلافيه ، إن الله يسألك عن الرعية ، هذا الرجل ــ يقصد الأفضل ــ قد غرق في اللهو وشربه ، واستولى عليه الجزري وابن العجمي .. »[1] .

فلما تمادى الأفضل في (نومه) وابن الأثير في ظلمه وتسلطه ، أكثر الناس على العادل والعزيز وحرضوهما على إنقاذ مايمكن إنقاذه ، فتوجها لدمشق يريدان عزل الأفضل ، وهنا أشار عليه الناصحون والمقربون ــ لمّا استشارهم ــ بملاقاةعمه وأخيه والصلح معهما، وعدم مخالفتهما إلا وزيره ضياء الدين فإنه أشار عليه بالعصيان فأطاعه الأفضل واستعد للقتال ، ولما كان الناس قد ملوا حكمه وإهماله ، وظلم وزيره ابن الأثير واستبداده ، فقد سهل الأمراء والمقدمون الطريق للغازين المنقذين وراسلوا العزيز والعادل سراً ، واتفقوا معهما على فتح باب دمشق الشرقي لهما .. وهكذا كان .. فقد استسلم الأفضل للعادل والعزيز وأخرج وزيره ابن الأثير مخفيا في صندوق خوفا عليه من القتل من الناس الغاضبين عليه فأخذ أموالا عظيمة وهرب الى بلاده ..[2]

---

(١) مقدمة محققي « الجامع الكبير »
(٢) وفيات الأعيان والنجوم الزاهرة

ثم إن ضياء الدين لحق بـ « الأفضل » في صرخد[١] وصحبه الى مصر لما استدعى الأفضل لنيابة ابن أخيه الملك المنصور بن العزيز . ولما خرج الأفضل من مصر بعد ذلك لم يخرج ضياء الدين معه لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه فخرج منها مستترا[٢] .

ولما استقر الأفضل في سميساط[٣] عاد الى خدمته ــ وكان انقطع عنه مدة ــ ثم فارقه في ذي القعدة سنة ٦٠٧هـ واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، فلم يطل مقامه عنده وخرج مغاضبا ، وعاد الى الموصل ، فلم يستقم حاله ، فرحل الى إربل ، فلم يستقم حاله أيضاً ، فسافر الى سنجار ، ثم عاد الى الموصل واتخذها دار إقامته واستقر وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك القاهر عزالدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه ، وذلك عام ٦١٨هـ .

(ومؤرخو هذا العصر مجمعون على أن ضياء الدين

---

(١) صرخد : ولاية واسعة حسنة ببلاد الشام ، وقلعة حصينة ملاصقة لبلد حوران .

(٢) ذكر ابن خلكان ان لضياء الدين رسالة طويلة شرح فيها كيفية خروجه من مصر مستترا ، وقال ان الرسالة موجودة في ديوان رسائله . ولم أجد هذه الرسالة في الرسائل التي نشرها أنيس المقدسي (والآتي ذكرها) ولعلها فيما لم يعثر عليه بعد من ديوان رسائله .

(٣) سميساط مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الروم أي تركية الحديثة غربي الفرات ولها قلعة يسكنها الأرمن .

كان في وزارته سيء السيرة مع رجال الدولة وان أحوال السلطنة كانت تسوء بسببه .. ولسنا ندري أكان ذلك راجعاً الى المحيط الذي كان يعيش فيه ، وهو محيط مضطرب دائم الإضطراب ، كثير المنازعات والمشاكل ، أم كان يرجع الى خلق فيه ؛ فإنا نلمح في كتابه آثار الكبرياء والصلف[1] .

توفي ابن الأثير ضياء الدين يوم الإثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٣٧ هـ ببغداد ، وقد توجه إليها رسولا من قبل صاحب الموصل ، وصلي عليه بجامع القصر ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي .

---

(١) مقدمة محمد محي الدين عبد الحميد على « المثل السائر » ص : (يب) .

مؤلفاته

١ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر

يشتمل على مقدمة في علم البيان ، تتضمن عشرة فصول ؛ الأول في موضوع علم البيان . الثاني في آلاته . الثالث في الحكم على المعاني . الرابع : في الترجيح بين المعاني . الخامس : في جوامع الكلم . السادس : في الحكمة التي هي ضالة المؤمن . السابع : في الحقيقة والمجاز . الثامن : في الفصاحة والبلاغة . التاسع : في أركان الكتابة . العاشر : في الطريق الى تعلم الكتابة .

ويشتمل على مقالتين ؛ الأولى في الصناعة اللفظية ، وما ينطوي تحتها من النظر في الألفاظ المفردة والمركبة ، والتسجيع ، والتجنيس ، والترصيع ، والموازنة ، والمعاظلة وغيرها ... والثانية : في الصناعة المعنوية ، وما تحتها من الإستعارة والتشبيه والتجريد والعطف والإبهام والنفي والإثبات ، والتقديم ، والتأخير ، والإستدراج ، والإيجاز، والإطناب، والتكرير، والتعريض، وغيرها من ضروب المعاني.

قال عنه ابن خلكان « ولضياء الدين من التصانيف

الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه « المثل السائر » وهو في مجلدين ، جمع فيه فأوعى ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره »[1] .

شرح « المثل السائر » أبو منصور موهوب بن أبي طاهر الجواليقي . وأخرج بعضهم كتابا سماه « الروض الزاهر في محاسن المثل السائر » .

■ ولعز الدين التنوخي رأي في المثل السائر ، أبداه أثناء تعليقه على « الجامع الكبير » في مجلة المجمع العلمي بدمشق بقوله : « لا أعرف أديباً له رأي في البيان وأساليبه ، إلا وللمثل السائر أثر بين في تقويم أسلوبه ، وإرشاده الى وسائل الملكة العربية ، لأن شخصية ابن الأثير أشد وضوحاً في « المثل السائر » فهو فيه كثير التهجم على مخالفيه في آرائه، وكثير الإعتداد ببلاغة رسائله، والإستشهاد بها»[2]

■ أما أنيس المقدسي فقد قال عن المثل السائر : « يكفي أن تذكر لابن الأثير كتابه المشهور « المثل السائر » ، فهو من أهم الكتب القديمة التي صنفت في البلاغة والنقد الأدبي ولا نبالغ اذا قلنا إن ابن الأثير كان في هذا الكتاب

(١) « وفيات الأعيان » ج : ٥ ص : ٢٧

(٢) الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين لعام ١٩٦٠م .

آخر حلقة من تلك السلسلة العظيمة التي انتظمت ... قدامة ابن جعفر في نقد الشعر ، وأبا هلال العسكري في الصناعتين، وأبا الحسن الجرجاني في الوساطة ، وعبدالقادر الجرجاني في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، وابن رشيق القيرواني في العمدة ، وابن سنان في سر الفصاحة ، وسواهم[1] .

■ والدكتور بدوي طبانة كتب دراسة مستفيضة عن هذا الكتاب جاءت في عشر صفحات من « تراث الإنسانية » أجتزيء منها مايلي :

« وبالمثل السائر عرف ابن الأثير علما من أعلام الدراسات الأدبية عالما وأديباً وبلاغياً وناقداً ، وهو أساس شهرته الأدبية التي طغت على شهرته السياسية التي بلغ منها أقصى مايتطلع إليه أمثاله ، وهو منصب الوزارة الذي شغله مدة طويلة وقد كانت شهرة ابن الأثير مقترنة على مر الزمان بشهرة كتاب « المثل السائر » أكثر من اقترانها بأي منصب تولاه أو أي كتاب آخر ألفه ، وقد ذكره به كل من تصدى لترجمته .

ولقد عرف الكتاب على أنه كتاب أدب ، وعرف كذلك على أنه كتاب في أصول البلاغة العربية ، وعلى أنه كتاب

(١) رسائل ابن الأثير ص : ٩

في النقد الأدبي أيضا . ويعد أيضا من أمهات الكتب في البلاغة العربية ، ومرجعا من أهم مراجعها ، بما حوى من فنونها الكثيرة المنثورة في بطون الكتب المختلفة .

ويمتاز الكتاب بين أكثر مصادر البلاغة بأنه درس فنونها دراستين ... نقدية وقاعدية ، والكتاب يفيض بكثير من الآراء والفكر الحرة في الأدب والأدباء .. ولم يسلم من نقد ابن الأثير كثير من فحول الشعراء كامرىء القيس ، وتأبط شرا ، والفرزدق ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، وأبي الطيب المتنبي .. وغيرهم .

وبَحْثُ ابن الأثير في السرقات الشعرية ، من أمتع مباحث كتابه وأوفاها ، فقد درسها دراسة علمية منظمة ، وجعل إفادة الأدباء من سابقيهم أقساماً معروفة ، وأنواعاً مميزة ، واستدل لكل قسم منها بالأمثلة الكافية الموضحة التي تدل على سعة المعرفة وكثرة المحفوظ ، والقدرة على لمح الإفادة .

... ونطالع في « المثل السائر » آثار معرفة بكتاب الله ، وحفظ لآياته ، وقدرة عجيبة على استحضارها ، والتمثل بها في كل موضع يريد أن يتمثل فيه بما يوافق آراءه في وسائل الإجادة وأسباب الإتقان ، ونجد فيه كثيرا من أحاديث

الرسول صلى الله عليه وسلم وفقه سنته ، والوقوف على سيرته وأخبار صحابته .

كل ذلك الى جانب ما وشّيت به صفحات الكتاب من حِكم العرب وأمثالها ، ومن مأثور منظومها وجيد منثورها . مما يروقك الإطلاع عليه ويأخذ بلبك ما ترى من القدرة على استحضاره وإجادة التمثيل به »[1] .

غرور ابن الأثير

ولأن لكل جواد كبوة ، فان مما يؤخذ على ابن الأثير غروره بنفسه وتعاليه على غيره .

ويشبهه في ذلك ــ من وجهة نظري ــ من أدباء هذا الزمان الدكتور زكي مبارك ــ غفر الله له ــ .

يقول الدكتور بدوي طبانه عن غرور ابن الأثير « ولقد طاف ابن الأثير في دراسة فنون المعاني بأسرار الفن الأدبي ، ووقف على مواضع الإجادة ، وبلغ مناط الإبداع ، في درس عميق ، وموازنات فريدة ، وأحكام صائبة ، وكل ذلك يرفعه الى درجة كبار الباحثين العارفين بأصول الأدب ، وأسراره في الإثارة والتأثير ، ويرفع كتابه الى رتبة النماذج

---

(١) الصفحات ١٠٥ ــ ١١٣ .

الرفيعة للدرس المستفيض والبحث المستوعب في أصــول الفن ، لولا مسحة من التعالي ، وأثارة من الغرور والخيلاء التي تغض من قدر العالم العارف تكاد تكدر هذا الخضم الزاخر بالدراسة الممتعة وثمرات القريحة المواتية .

وتلمح هذه النزعة في مواضع كثيرة في ثنايا كتابــه الضخم الذي نرى فيه شموخا بالنفس ، وتطاولا على الغير وانتقاصاً للأكفاء ، وهي سجايا تنكرها أخلاق العلماء الذين حطمت المعرفة كبرياء نفوسهم ، ونزوات طيشهم .... الخ »[1]

ويصف الدكتور محمد زغلول سلام اعتداد ضياء الدين بنفسه بأنه يقارب الهوس[2] .

وحول غرور ابن الأثير يقول ابن أبي الحديد في أسباب تأليفه لكتابه « الفلك الدائر على المثل السائر » : « .. منها إزراؤه على الفضلاء ، وغضه منهم ، وعيبه لهم ، وطعنــه عليهم ، فإن في ذلك مايدعو الى الغيرة عليهم ، والإنتصار لهم ، ومنها إفراطه في الإعجاب بنفسه ، والتبجح برأيه ، والتقريظ لمعرفته وصناعته ، وهذا عيب قبيح يحبط عمل الإنسان ويوجب المقت من الله والعباد .. »[3] .

---

(١) تراث الانسانية ج : ٢ الصفحات ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ .
(٢) ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد ص : ٥٢ .
(٣) ص : ٣٢ من الفلك الدائر .

طبعات المثل السائر

بعد هذا الاستطراد القليل ، نعود للمثل السائر فنذكر فيما يلي طبعاته :

١ ــ طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٢ هـ ، في ٥٠٤ صفحات بتصحيح الشيخ محمد الصباغ ، وبهامشه « أدب الكاتب » لابن قتيبة .

٢ ــ وطبع في المطبعة البهية سنة ١٣١٢ هـ في ٣٢٤ صفحة .

٣ ــ ثم طبع في القاهرة بواسطة مكتبة محمود توفيق سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ) في ٣٤٤ صفحة وبهامشه «أدب الكاتب» .

٤ ــ أما الطبعة الأخيرة فهي التي حققها محمد محي الدين عبد الحميد ــ المدرس في قسم التخصص بكلية اللغة العربية بالجامع الأزهر بمصر ــ وجاءت في مجلدين كبيرين بواسطة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) . ووضع له مقدمة وترجمة لابن الأثير في ١٨ صفحة .

وامتدح المحقق الجهود المضنية التي بذلها في اخراج الكتاب الذي قام به نتيجة رجاء من بعض إخوانه ، وذكر أنه حققه على نسختين خطيتين بدار الكتب المصرية ، وعلى نسخة لديه ، ونسخة الشيخ أحمد محمد شاكر ، وعلى

طبعة بولاق ، والطبعات الأخرى ، كما راجع جميع النصوص التي اشتمل عليها الكتاب في مظانها الأولى •

وهذه الطبعة حسنة جدا ، ورقا ، وحروفا ، اعتنى بها المحقق كثيرا ، ولا ينقصها سوى الفهارس التوضيحية فليس بها سوى فهرس الأبواب •

٥ ـ ثم جاء الدكتوران أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، فحققا المثل السائر ونشراه في ثلاثة مجلدات (مطبعة الرسالة) المجلد الأول : وهو القسم الأول من الكتاب يضم المقدمة والمقالة الأولى (٤٢٣ صفحة) •• أما المجلد الثاني وأسمياه القسم الثاني من الكتاب فيشمل المقالة الثانية •• والمجلد الثالث وهو كبير الحجم (صفحاته ٨٦٨) يضم القسم الثالث وفهرسه (٢٠٩ صفحة) • والقسم الرابع في ١٢ صفحة (!) •• ثم كتاب الفلك الدائر (الآتي ذكره) لابن أبي الحديد (٣٠٠ صفحة) • ومابقي من صفحات المجلد الضخم فهو لفهارس الكتاب التفصيلية ••

وأثبت المحققان أسماء ٨٩ كتابا وديوانا كمراجع لهما في تحقيق الكتاب •

والغريب أنه ليس من بين هذه المراجع كتاب (المثل السائر •• تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) الذي

سبق هذه الطبعة بأكثر من عشرين عاما ! ، كما لم يشر المحققان إليه في مقدمتهما (القصيرة جدا) ، لا من قريب ولا من بعيد (وكأنه لم يكن) •• (وهذا ما يثير أكثر من سؤال عن السر في تجاهل الدكتورين لجهود سابقهما •• !!

والمجلد الأول من هذه الطبعة طبع عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩م) ، والثالث عام ١٣٨١ هـ (١٩٦٢م) • كتب في الغلاف « قدم له وحققه وعلق عليه الدكتوران الحوفى وطبانه •• » ومقدمة التحقيق في ٢٩ صفحة ، وهي نفس الدراسة التي كتبها الدكتور طبانة لكتاب « المثل السائر » المتقدم ذكرها بتصرف بسيط ، وزيادات قليلة ، وترجمة لابن الأثير جاءت في ثلاث صفحات مختصرة من « وفيات الأعيان » •

وطباعة (مقدمة) الدكتورين في هذه الطبعة حسنة جدا بحروف ممتازة سهلة القراءة • أما نص الكتاب والتعليقات فهو بخلاف ذلك ، فحروفه رديئة مكسرة مؤذية للعين ، وورق الكتاب بصفة عامة غير جيد ••

ومما يجدر ذكره أن أكثر التعليقات مطابقة لتعليقات عبد الحميد ، بتغيير بسيط في بعض الكلمات والعبارات !!

مثال ذلك ••• تعليقاً على بيت شعر لأبي الطيب المتنبي

قال عبد الحميد : « •• من قصيدة له يمدح فيها المغيث •• » وأولها قوله •• »[1] بينما قال الدكتوران « •• من قصيدته في مدح المغيث •• ومطلعها •• »[2] •

وفي صفحة ١٦٥ أورد عبد الحميد تعليقا على بيتين لأبي تمام والبحتري •• « من قصيدة له يمدح فيها حبيش •• وأولها قوله •• » •• « من قصيدة له يمدح فيها المتوكل •• وأولها قوله •• » •• ومقابل هذا في تحقيق الدكتورين ما نصه •• « من قصيدة له يمدح فيها حبيش •• ومطلعها » •• « من قصيدة له في مدح المتوكل مطلعها »[3] •• وهكذا •••

ويزيد المحققان أحيانا ذكر الديوان الذي توجد فيه الأبيات ورقم الصفحة !! •

وفي تحقيق الدكتورين زيادة عما في تحقيق عبد الحميد تراجم لبعض الأعلام ، وبيان لمواضع الآيات في السور ، وشرح بعض المفردات اللغوية ، إضافة الى الفهارس التفصيلية •

وفي الكتاب ٤ صفحات كلها تصحيح أخطاء !

نقد المثل السائر

صنف صلاح الدين الصفدي كتابا سماه « نصرة

---

(١) ج : ٢ ص : ١٥٧ . (٢) ج : ٣ ص : ٣ . (٣) ج : ٣ ص : ١٥ .

الثائر على المثل السائر »[1] أخرجه مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق محمد علي سلطاني[2] •

وألف « أحمد محمد عنبر » كتيبا •• دعاه (جولة مع ضياء الدين ابن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) ، نشرته مطابع دار الكتاب العربي بمصر عام ١٩٥٤م في ٧٧ صفحة •

الفَلَكُ الدائر على المثل السائر

ألف ابن أبي الحديد (عز الدين أبو حامد عبد الحميد ابن هبة الله •• المدائني المتوفى سنة ٦٥٥هـ) كتابه « الفلك الدائر» نقدا لكتاب ابن الأثير •• ولكنه نقد لا يخلو من تحامل

قال ابن خلكان •• « فلما أكمله وقف عليه أخوه موفق الدين فكتب إليه يقول :

المثل السائر •• يا سيدي صنفت فيه الفلك الدائرا
لكن هذا فلك دائر تصير فيه المثل السائر[3]

ولم ينشره محمد محي الدين عبد الحميد مع المثل السائر بسبب •• « إني لما قرأت الكتاب ــ وكنت أفكر في

(١) توجد منه نسخة خطية بمكتبة بلدية الاسكندرية .
(٢) مجلة « قافلة الزيت » شوال ١٣٩٣ هـ ص ٤٢ .
(٣) وفيات الأعيان جـ : ٥ ، ص ٢٧ .

نشره بأسفل صفحات هذا الكتاب عند مواطن النقد ـ لم أجد فيه مايبعث على تحقيقه وبـذل الجهد فيه ..»[1] ـ وأضاف ـ «والواقع أن كتاب «الفلك الـدائر»[2] يبدو لمن يتصفحه ـ وهو منصف ـ أن روح التحامل هي التي أملته على مؤلفه، وأنه كتب مع رغبة ملحة في النيل من ابن الأثير والغض من عمله، وليس معنى هذا الكلام ان ابن الأثير قد أصاب في الكتاب كله، وأنه لامطعن عليه، ولكن الذي نريد أن نقرره ـ في طمأنينة ـ أن ابن أبي الحديد قد تعرض ـ في الغالب ـ لما لا ينبغي أن يتعرض له أديب يؤثر اللباب على القشور، وترك أشياء هي أولى بالنظر والرعاية، وعذره أنه قرأ الكتاب وكتب نقده عليه في خمسة عشر يوما هو مشتغل في أثنائها بعمله في الدولة.

ولم يكتف ابن أبي الحديد بهذا الكتاب، بل هو ينتهز الفرصة في شرحه على «نهج البلاغة»؛ فينقل كلام ابن الأثير، ويعترض عليه»[3].

وحول الفلك الدائر قال الدكتوران «الحوفي وطبانة»:

«رأينا أن نخرج هذا الكتاب لأنه وثيق الصلة بكتاب

---

(1) مقدمته للمثل السائر ص: (يز).

(2) بفتح الفاء واللام الثانية.

(3) نفس المصدر.

« المثل السائر » ، وهو في جملته تعليق عليه ، ونقد لـه وتوسعة لمجال الدراسات البلاغية والنقدية •

ونستطيع أن نقسم نقده ثلاثة أقسام :

ـ بعضه حق (وأوردا أمثلة لذلك) •

ـ بعضه مجانب للحق ، اذكان الصواب فيماقاله ابن الأثير •

ـ بعضه يبدو أن ابن الحديد يتحامل أحيانا ، ويقسو على ابن الأثير ، وان كانت السمة الغالبة على كتابه أنه نقد موضوعي مدعوم بالبراهين •• » •

وفات الدكتـورين تصحيح اسـم ابن الأثـير في « الفلك الدائر » حيث كتب (نصير الدين) • وصفحات الفلك الدائر ٢٨٠ •

وللدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد رأي في هذا الكتاب •• منه : « وكان عامل الغيرة ماثلا في تأليف « الفلك الدائر » لأن نصر الله بن الاثير استهزأ بالكتاب العراقيين ، واتنقد عليهم أقوالا •

أما شهاب الدين النجفي فرأيه في « الفلك الدائر » :

(ولعمرى إن ردود ابن أبي الحديد غير متوجهة إليه ، ولا واردة عليه ، كما هو واضح في الغاية لمن ارتوى من كأس

الأدب ، تعرب أو كان من العرب ، بشرط الإنسلاك في طريق الإنصاف ، والتحرز عن الإعتساف) .

■ وأثبت فيما يلي بعض ماجاء في مقدمة ابن أبي الحديد ، وهو يوضح السبب الذي دعاه لتأليف كتابه .. أورده بدون تعليق ..

« وبعد ... فقد وقفت على كتاب نصير الدين (نصر الله) بن محمد الموصلي المعروف بابن أثير الجزيرة (ابن الأثير الجزري) .. فوجدت فيه المحمود والمقبول ، والمردود والمرذول .

أما المحمود منه فإنشاؤه وصناعته ، فانه لا بأس بذلك إلا في الأقل النادر .. وأما المردود فيه فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه ، فانه لم يأت في ذلك ــ في الأكثر الأغلب ــ بما يلتفت إليه مما يعتمد عليه .

فحداني على تتبعه ومناقضته في هذه المواضع النظرية أمور .. منها : إزراؤه على الفضلاء ، وغضه منهم ، وعيبه لهم ، وطعنه عليهم ، فإن ذلك يدعو الى الغيرة عليهم ، والإنتصار لهم .

ومنها : إفراطه في الإعجاب بنفسه . ومنها : أنه قد أوما مرارا في كتابه الى عتاب دهره ، اذ لم يعطه على

قدر استحقاقه[1] ، فأردنا أن نعرفه أن الأرزاق ليست على مقادير الاستحقاق ، وأن الرزق مقسوم لا يجلبه الفضل ، ولا يرده النقص .

ومنها : أن جماعة من أكابر الموصل قد حسن ظنهم في هذا الكتاب جدا ، وتعصبوا له ، حتى فضلوه على أكثر الكتب المصنفة في هذا الفن ، وأوصلوا منه نسخا معدودة الى مدينة السلام (بغداد)، وأشاعوه ، وتداوله كثير من أهلها .

فاعترضت عليه بهذا الكتاب ، وتقربت به الى الخزانة الشريفة .... الخ »[2] .

■ وإضافة الى ماتقدم من نقد كتاب ابن أبي الحديد .. فقد ألف أبو القاسم محمود بن الحسين الركني السنجاري المتوفى سنة (٦٤٠هـ) كتاباً يرد فيه عليه ، سماه « نشر المثل السائر وطي الفلك الدائر » .

وصنف عبد العزيز بن عيسى كتابا دعاه « قطع الدابر عن الفلك الدائر » .

٢ ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم في الكلام والمنثور

لم يذكره ابن خلكان .. وعده الزركلي من المخطوطات نشره المجمع العلمي العراقي بتحقيق وتعليق الدكتور

(١) ما أشبه هذا بما فعله الدكتور زكي مبارك .
(٢) الصفحات ٣١ ـ ٣٣ من الفلك الدائر .

الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد عام ١٩٥٦م (١٣٧٥هـ) وجاء في ٢٧٤ صفحة بطباعة حسنة جدا .

وبذل المحققان جهودا شاقة في إخراج الكتاب بهذه الصورة ، وكتبا ترجمة ضافية ومفصلة لمؤلفه ضياء الدين ابن الأثير في ٣٧ صفحة .

وجاءت المشقة في تحقيق الكتاب لأن المخطوطة التي اعتمدا عليها كثيرة التصحيف ، **فلذا أجهدا نفسيهما في الرجوع** الى كتب البلاغة وأهمها المثل السائر . ووضعا للكتاب فهارس مفصلة جيدة .

وقد فاق الجامع الكبير ماتقدمه من التآليف الخاصة بهذا الفن .. ويظهر أن ابن الاثير ألفه قبل « المثل السائر » وربما كان أول كتاب يؤلفه في علم البيان . وأسلوبه فيه هادىء ، ينقل عمن تقدمه من علماء البيان ويشير الى مواطن النقل في أكثر الأحيان ، وقد يجادل في الرأي جدالا هادئا ، وهذا مالا نراه في كتاب « المثل السائر » إذ قلما نراه يشير الى رأي وهو لا يحاول تفنيده والنيل من صاحبه ، وهذا ما ألب عليه الذين تصدوا لنقد كتابه وتفنيد آرائه كابن أبي الحديد .. وغيره[1] .

---

(١) ص : ٤ ، ٣٩ ، ٤٠ .

■ وقد نشر عز الدين التنوخي مقالا في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، يعلق فيه على هذا الكتاب بطبعته الجديدة وتحقيقه من قبل الدكتورين .. أقتطف منه مايلي :ـ

« وليته كان عند هذين الصديقين المحققين مع مصورتهما تلك النسخة المصورة عن مكتبة (خدا بخش بتنه فوهى) فهي أقدم من نسخة الدار (من القرن السابع) ومكتوبة بخط نفيس مشكول (تحت رقم ١٢٠٩٥ ج بلدية) فلعلها كانت أشد معونة لهما في التحقيق ، وافادة من الرجوع للمثل السائر[١] » .

■ وفيما يلي بعض مقدمة ابن الأثير في الكتاب :

« أما بعد ، فلما كان تأليف الكلام ، مما لا يوقف على غوره ، ولا يعرف كنه أمره ، إلا بالإطلاع على علم البيان الذي هو لهذه الصنعة بمنزلة الميزان ...

.... لمحت في أثناء القرآن الكريم من هذا النحو أشياء طريفة ، ووجدت في مطاويه من هذا النوع نكتاً دقيقة لطيفة ، فعرضتها عند ذلك على الأقسام التي ذكرها هؤلاء العلماء وشرحوها ، والأصناف التي بينوها في تصانيفهم

---

(١) الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين عام ١٩٦٠م ص ٦٦٦ .

وأوضحوها ، فألفيتهم قد غفلوا عنها ، ولم ينبهوا على شيء منها •

وكان ذلك باعثاً لي على تصفح آيات القرآن العزيز ، والكشف عن سره المكنون ، فاستخرجت منه حينئذ ثلاثين ضرباً من علم البيان ، لم يأت بها أحد من أولئك العلماء الأعيان ، وكان ماظفرت به أصل هذا الفن وعمدته ، وخلاصة هذا العلم وزبدته ، فحيث أحرزت هذه الفضيلة •• أحببت أن أفرد لها كتاباً ، وأفصلها فيه أقساماً وأبوابا ، ليكون مقصورا على شوارد هذا العلم وغرائبه •

فصار هذا الكتاب لغوامض علم البيان مبيناً ، ولما ذكره أرباب هذه الصناعة ومالم يذكروه متضمناً ، فأوردت في صدره مايجب على مؤلف الكلام علمه ، ثم شفعت ذلك بذكر الفصاحة والبلاغة ••• فأوضحت ما أشكل من طريقتهما ، وبينت أقوال العلماء في حقيقتهما ، مع ما أضفته الى ذلك من زيادات مناسبة ، واحترازات واجبة ، ثم شرحت بعد ذلك جميع أنواع علم البيان » •

٣ ـ الوشي المرقوم في حل المنظوم

قال عنه ابن خلكان •• « وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة » • وذكره صاحب كشف الظنون وقال

إن أوله : « أحمد الله على فضيلة النطق وبيانه .. » .

وقال شهاب الدين النجفي .. « ومن تآليف نصر الله ابن الأثير كتاب « الوشي المرقوم في حل المنظوم » وهو غير كتاب الوشي المرقوم لموفق الدين المدائني ، وغير الوشي المرقوم للسيد صديق حسن خان أمير بهوبال بالهند » .

وجاء في مقدمة الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد لكتاب الجامع الكبير « الموشى المرقوم » بميم .. وهو خطأ وصحته « الوشي » بدون ميم .

طبع الكتاب (مرة واحدة) بمطبعة « ثمرات الفنون » في بيروت عام ١٢٩٨ هـ أي قبل خمسة وتسعين عاما وكتب على غلافه « هـذا كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم ، تصنيف الوزير الأجل العالم الفاضل ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد الشهير بابن الأثير تغمده الله برحمته » . وصفحاته ١١٢ ، ولا يوجد أي تعليق لا في أول الكتاب ولا في آخره أي لم يوضح شيء عن المخطوطة التي اعتمد عليها .

ويعتبر من الكتب النادرة التي لم تحقق ولم تطبع مرة أخرى حسب علمي . وطباعته على العموم حسنة .

منه نسخة بالمكتبة المركزية بجامعة الرياض تحت رقم ٨١١ .

■ وسأنقل فيما يلي نصوصاً من الكتاب تعطي القارىء فكرة كاملة عنه ومحتواه ..

« ... أما بعد فإن لكتاب الإنشاء لباً وقشراً ، وبطناً وظهراً ، وقد وجدت الناس فيها على طريق قد سمج غابرها ، وطرقت حتى استوى في المعرفة بها جاهلها وخابرها ، وكانوا في ذلك كمن عدل عن أصول الشيء الى فروعه ، وورد ثغب الماء دون ينبوعه ، ولما عنيت بهـذا الفن لامسته فوجدته خشن الملمس ، إلا ان الله منحني فيه أدباً لا يحصل بأدب الدرس ، وجعل غدي فيه أفضل من اليوم ويومي أفضل من الأمس ..

وعمدة الأمر أن تصرف الهمة الى حل الشعر ، وآيات القرآن ، والأخبار النبوية فإنذلك هوزبدة مخضها وخلاصة محضها ، ونجوم سمائها وجبال أرضها ، ولئن سبقني الى حل الشعر سابق ، وطرق ورده قبلي طارق ، فإنه ركب إليه هجيناً لا هجاناً ، وظن خواطره فيه سميعة بصيرة وكانت صماً وعمياناً ، وليس كل بيضاء شحمة ، ولا كل بيان بحكمة.

وما مثـل من سبقني في هذا الفن ومثلي إلا كمـا قال أبو تمام :ـ

مثل العجوز التي ولت بشاشتها   وبان عنها شباب كان يحظيها
لزت بها ضرة زهراء واضحة   كالشمس أحسن منها عند رائيها

على أن كلا من الناس باستحسان مايقوله مغرى ، ولا يزال المرء في أمان من عقله حتى يؤلف كتاباً أو يقول شعراً •• وهذا هو معيار الأفكار •

ولما ألفت كتاب « المثل السائر » قصرت فصلا منه على ذكر هذه الطريق ، وأتيت فيها بالمعاني الجليلة التي تفتقر الى الفهم الدقيق ، غير أني أحلت في مواضع منه على هذا الكتاب ، وجعلت لذلك رمز الإختصار ، ولهذا مكاشفة الإسهاب •• وقد وسمته بالوشي المرقوم في حل المنظوم •• وبنيته على مقدمة وثلاثة فصول ••

الأول في حل الشعر

الثاني في حل آيات القرآن الكريم

الثالث في حل الأخبار النبوية ••

ووجدت مايحتاج الكاتب إليه ثلاثة أشياء •• حفظ القرآن الكريم ، وحفظ ماينبغي له حفظه من الأخبار النبوية •• وحفظ الأشعار الكثيرة التي لايحصرها عدد مما يكون كل بيت منه في الجودة بمنزلة قصيدة من غيره •

فإذا حصلت هذه الأسباب الثلاثة ، وأتقن تحصيلها أخذ صاحبها في فن الكتابة ، فصار يهب ويركد ، ويقوم ويقعد ، ويصدر ويورد ، ويخلط الصحيح بالسقيم ،

ويمشي مكبا على وجهه ثم سويا على صراط مستقيم .

وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة مالا أحصيه كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب بن أوس وابن عبادة البحتري .. وشعر المتنبي، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة .. وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الإدمان لي خلقا وطبعا ، فلا تقنع أيها الخائض في هذا البحر الذي لا ساحل له إلا بأن تفعل مافعلته . وذاك أني قلبت الأشعار تقليب السماسرة للمتاع ، ووزنتها بالقيراط وكلتها بالمد والصاع »[1] .

غرور ابن الأثير مرة أخرى

أوردت في الكلام على « المثل السائر » شواهد تدل على غرور نصر الله وإعجابه بنفسه . وشبهته من المعاصرين بالدكتور زكي مبارك ـــ رحمه الله ـــ الذي لا ينفك يتحدث عن مؤلفاته ويثني عليها وعلى نفسه كما فعل ابن الأثير تماماً ، كما يشبهه في حفظ الشعر الكثير ! .

وفي الوشي المرقوم ، نصوص أخرى تدل على تلك الكبرياء أوردها هنا ـــ بدون تعليق ..

---

(1) الصفحات ٢ــ٦ ، ٨ــ١٠ .

« لم يسبقني إليها شاعر ولا كاتب » •• « لا تجدها في كلام آخر غير هذا الكلام » •• « فإنه من بنات الخاطر التي لم آخذ فيهـا حذو وقوع الحافر على الحافر » •• « حتى تعلم أن السيف لحامله لا لصيقله ، وأن ضيف المنزل أحق بمنزله » •• « وقد أوردت أنا هذا المعنى على وجه غريب لم يأت به أحد قبلي » •• « وإن لم يشهد شهدَت لي الفضيلة وأنا صامت » •• « وهذا المعنى مبتدع لي لـم أُسبق إليه » •• « وأنا في هذا الموضع مبتدع لهذا المعنى » •• « وهذا معنى غريب لم أسبق إليه ولا اخترعه أحـد قبلي »[1] •• وهذا إضافة الى ما جاء في مقدمة المـؤلف التي تقدمت قبل قليل ••

٤ ـ كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب

ذكره صاحب كشف الظنون باسم « تمثال الطالب » لابن الأثير ولم يوضح لأي الأخوة الثلاثة هو •

مخطوط •• موجود في خزانة محمد سرور الصبان بمكة المكرمة ، وقدتفضل ورثةالشيخ بإطلاعي على المخطوطة فألفيتهامكتوبةبخط لا بأس بهمقروء، وعددأوراقها٩٩ ورقة••

(١) الصفحات : ٤٢-٤٤ ، ٥٣ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٣ .

وأول الكتاب قوله .. « الحمد لله العزيز الجبار ، والصلاة على سيدنا محمد النبي المختار ، وعلى آله ورضي الله عن أصحابه الأبرار ، باب البديع .. ويشتمل على أنواع كثيرة ... » ، ويضم الكتاب ٥٦ باباً .. هي :

باب البديع .. البلاغة .. أدب الشاعر .. الإرتجال والبديهة .. الفواتح والخواتيم .. النسب .. المديح .. الإفتخار .. الإقتضاء .. العتاب .. الهجاء .. الاعتذار .. الرثاء .. الوصف .. الإختراع .. الإشتراك .. الموارِدة .. السرقات .. المطابقة .. ما اختلط فيه التجنس والتطبيق .. الترديد .. التقسيم .. التطرير .. التفويف .. الإستعارة .. التمثيل .. المثل السائر .. التشبيه .. المذهب الكلامي .. التشكيك .. الإشارة .. التجاوز .. المساواة .. التذييل .. التسهيم .. التفسير .. النفي .. القسم .. الهزل الذي يراد به الجد .. الإستطراد .. التفريغ .. الإلتفات .. الإستثناء .. التتميم .. نفي الشيء بإيجابه .. السلب والإيجاب .. العكس والتبديل .. المبالغة .. الإيغال .. الغلو .. الحشو .. الإستدعاء .. الإطراد .. التكرير .. التضمين .. باب يشتمل على أنواع من عيوب الشعر ..

وفي آخر المخطوطة ورقة ، ورقها مغاير ، وخطها مختلف .. جاء فيها .. « وقع الفراغ من تأليف هذه الأوراق وجمعها ضحوة يوم الخميس ٢٢ شعبان المعظم في شهور سنة ٨٧٧ هـ بمدينة السلام بغداد (وافيت) التوجه الى بيت الله الحرام وأنا الفقير عبد الرحمن بن أحمد الجامي » .

وقد تكون هذه الورقة ليست من المخطوطة ، اذ ربما ألحقت بها من مخطوطة أخرى ..

وموضوع الكتاب ــ كما ترى ــ مفيد وطريف فلعل الله أن يقيض له من يحققه ويخرجه للناس .

٥ ــ رسائل ابن الأثير
« ديوان ترسل »

جاء ذكره في المصادر : « ديوان ترسل » ، وذكر ابن خلكان أنه في عدة مجلدات ..

قام أنيس المقدسي ــ أستاذ الشرف للأدب العربي في جامعة بيروت الامريكية ، وأستاذ سابق للآداب العربية في معهد الدراسات العربية العالية بمصر ، وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق ــ قام بنشر وتحقيق رسائل ابن الأثير، بمساعدة المجمع العلمي العراقي ، عام ١٩٥٩م (مطابع

دار العلم للملايين) في ٣٥٠ صفحة، وكتب على غلافه (تنشر لأول مرة عن مخطوطة ترجع الى القرن السابع الهجري) .

اعتمد المحقق على مخطوطة بمكتبة جامعة بيروت الامريكية كتب على غلافها « الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين » . وآخرها « تم الجزء الثاني من ترسل ضياء الدين بتاريخ غرة صفر من سنة ٦٥٦هـ » . واعتمد كذلك على مخطوطة أحمد الثالث باستانبول المكتوب عليها « ترسل المولى الوزير الصدر الكبير ضياء الدين محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري » ، وفي ختامها هذه العبارة « نجزت رسائل الوزير ضياء الدين المعروف بابن الأثير وتمت في سحر يوم السبت خامس من رمضان المبارك سنة ٦٥٥هـ » .

ذكر المحقق أن هذه الرسائل ترجع الى مايقرب جدا من عهد ابن الاثير ، فبينها وبين منشئها أقل من عشرين سنة.

وقد حاول المحقق التوفيق بين المخطوطتين ، ومعرفة هل مخطوطة استانبول هي الجزء الأول من « ديوان ترسل » . ثم رجح أنها المختار من ديوان ترسل ابن الأثير ، وذكر أنه رأى دراستها وتحقيقها تمهيدا لنشرها ولكنه أغفل ـ بعد ذلك ـ ذكر مخطوطة الجامعة الأمريكية .

كما اعترف أن هناك عددا من الألفاظ لم يهتد الى

حقيقتها ، اما لفساد في النسخ ، أو لغرابة في الأصـل ، وحمد الله على أن ذلك قليل وقال إنه أشار اليه في محله ..

وأضاف : « ولعل من القراء من قد يوفق الى حله ، فيكون له فيذلك فضل المنعم الذي لايرى في التقصيراليسير فرصة للقدح بهذا المجهود الأدبي فان الهدم هين ، ولكن البناء المحكم عسير » .

في الكتاب ١٦٩ رسالة موجهة للملوك وأمراء وأصدقاء وغيرهم من الشخصيات ، وبه إخوانيات ورسائل شتى في أمور أخرى . وفي الكتاب فهرسان .. الأول : للأعـلام الواردة في المتن . والثاني : للرسائل وأصحابها .

(وابن الأثير ــ فيرسائله ــ يجري مجرى أهل عصره من تأنق في العبارات ، وتغارب في المصطلحات . وهو يكثر الإشارات البعيدة الى بعض أقوال الأقدمين . وقد قاده كل ذلك أحيانا كثيرة ــ رغم مقدرته ــ الى التكلف والتصنع وهما آفة الترسل القديم .

ومما يؤخذ عليه اعتداده بنفسه وكتابته .. والذي يطالع رسائله يدهش لماتحويه من فنون الأوضاع ، وصنوف المعاني ، فهي والحق يقالبحر لغوي واسع، يعسر علىالمتأدب العادي خوض عبابه أو سبرغوره(١)) .

(١) مقدمة محقق رسائل ابن الأثير .

٦ ـ المختار من ديوان ترسله

قال ابن خلكان « والمختار منه في مجلد واحد » • وتقدم ترجيح أنيس المقدسي أن يكون هذا هو مخطوطة استانبول التي نشرها بعنوان رسائل ابن الأثير •

٧ ـ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان

طبع بمطبعة الرسالة بالقاهرة بواسطة مكتبة الانجلو مصرية عام ١٩٥٨م ، وقدم له وحققه حفني محمد شرف وجاء في ٢١٥ صفحة ، وفي آخـره فهرس للموضوعات ، وفهرس للأعلام ، وفهرس المراجع والكتب ، ثم الأماكن •

اعتمد المحقق عـلى مخطوطتين ، إحداهما محفوظة بمكتبة أحمد تيمور ، والثانية بدار الكتب المصرية ، وفيها نقص أكمله من الكتب المماثلة في الموضوع •

(ومن الكتب التي أكثر الأقدمون من الإشارة إليها والإقتباس منها، والاعتماد عليها كتاب ابن الاثير «الاستدراك» الذي ألفه مستدركا على ابن الدهان فيما أورده في رسالته « المآخذ الكِنْدِية من المعاني الطائية » حيث حرص ابن الدهان على تبيان مافي شعر المتنبي من معان مأخوذة من شعر أبي تمام ، وحاول ابن الأثير في كتابه هذا أن يفند

مزاعم ابن الدهان ، ويستدرك عليه مافاته من معان أخذها المتنبي من أبي تمام .

ولا يعنيني في هذه الكلمة الموجزة أن أنوه بهذا الجهد الذي بذله ابن الأثير في استقرائه لمعاني أبي تمام والمتنبي ، وبهذه الدراسة التطبيقية الجليلة ، بقدر مايعنيني أن أنوه بالمقدمة التي صدر بها ابن الأثير كتاب الاستدراك ، لأن في هذه المقدمة نظريات في النقد لم يفطن اليها نقاد الغرب ومن تبعهم من نقادنا المحدثين إلا منذ أمد وجيز .

ولقـــد لمست لدى ابن الأثير في مقدمة كتابه بعض نظريات لا تقل تقدماً عن أحدث النظريات الغربية في النقد مماينبيء عن بصيرة نفاذة ، وإدراك عميق لكنه الأدب وحقيقة رسالته ، وإن لم يفض في شرح تلك النظريات ، ويضع لها قواعد وأصولا ، وإنما مسها مساً رفيقاً .

والنظرية التي وضعها ابن الاثير للمفاضلة بين الشعراء هي نفس النظرية التي نادى بها في الأدب الغربي (وردسورث) في التوطئة ، وقنع ابن الاثير بإيرادها موجزة .

وفي موضع آخر نرى ابن الأثير يعرض بالزراية لهؤلاء الذين يحرصون على التوعر في أشعارهم ، والجري وراء الكلمات اللغوية والغريبة ، ويرى أن الشعر أجل وأسمى

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ رب أعن

الحمد لله العزيز الجبار والصلاة على سيدنا محمد النبي المختار وعلى آله

ورضي الله عن أصحابه الأبرار

باب البديع

ويشتمل على أنواع كثيرة

اعلم أن أصل البديع النادر الغريب ومنه بديع السماوات لأنه
أنشأهن على غير مثال سابق والبديع من الشعر ما سبق إليه
الشاعر ولم يسبق إلى نظيره أو ما يقرب منه أو ما يدل عليه
فلذلك سمى علماء البيان هذه الأنواع بأسماء وأطلقوا لفظة البديع
على الجميع نظرا إلى الأصل وقد ذكروا أنواعا للمتأدب كما ذكروا
للناقد بأن الصنعة يبرز محاسن صنعته أو ليعلم طريقها فيجتنب
وهو يقع في القديم والحديث بالطبع ولم يستغرقه شاعر قديم ولا
حديث غال وإنما استنزر جميعه من جميع أشعارهم ويتفاضلون

في كثرة

الصفحة الأولى من مخطوطة « كفاية الطالب » انظر ص ١٣٨

من أن يكون همه ذاك . وهذا لعمري يتمشى مع الذوق الحديث ومع نظريات النقد الغربية .

ولولا خشية الإطالة لتتبعت تلك النظريات في مقدمته ونوهت بها ، وبحسبي هنا أن أقول إن الطابع الذاتي في النقد كانت له الغلبة على معظم نقاد العرب ، ولكن ابن الأثير كان من أقلهم ذاتية ، وكان يتوخى الموضوعية والحق ، ما استطاع الى ذلك سبيلا)[1] .

« ولعل الدافع لابن الأثير على تأليف (الاستدراك) أن المؤاخذ للمتنبي والناقد لشعره ــ ابن الدهان ــ نحوي لا علاقة له بصناعة الشعر ونقده في نظر ابن الأثير الذي أكثر من لوم النحويين واللغويين لتعرضهم لدراسة الشعر ونقده لأنهم ليسوا من فرسان هذا الميدان .

وقد ألف ابن الدهان رسالة المآخذ ليكشف فيها عن متابعة المتنبي لأبي تمام في معانيه ، وهي مفقودة كبقية كتبه التي يقال عنها إنها غرقت في دجلة ، فأراد تحقيقها فعمل على تبخيرها باللاذن ، فآل أمرها الى الإحراق وآل أمر مؤلفها الى العمى ، وقد ذكرها صاحب كشف الظنون تحت اسم « الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية من المعاني

(1) من كلمة كتبها عمر الدسوقي صدر بها « الاستدراك » .

الطائية » ، وتسميتها « السعيدية » نسبة لابن الـدهان فإن اسمه سعيد ، و « المآخذ الكندية » نسبة الى المتنبي ، فانه كان كِنْدِي الأصل ، و « المعاني الطائية » أي معاني أبي تمام لأنه طائي ، فلم يرض ابن الاثير بالنقد الموجه للمتنبي من نحوي لغوي لاعلاقة له بالشعر ونقده ، وحينئذ ألف « الاستدراك » ، ليؤاخذ ابن الدهان على ماكان منه ، ويناقشه في مؤاخذاته .. ولعمري ان من يقرأ الإستدراك ويمعن في تصفحه ليعلم أن أمانة ابن الأثير وإخلاصه للادب وخدمته له قد أبت عليه أن يغضي على المآخذ التي عثر عليها في شعر المتنبي ولم يذكرها ابن الدهان ، فذكر ماتركه ابن الدهان من المآخذ ، ونقده فيما أخذه على المتنبي .. فيكون بذلك قد جمع في كتابه بين شيئين .. : مؤاخذته لابن الدهان على مؤاخذاته للمتنبي ... واستدراكه عـلى مافات ابن الدهان من مآخذ المتنبي .

أطال ابن الأثير مقدمة كتابه ، وتكلم فيها عن الشعر ونقده ، والمفاضلة بين الشعراء ، والسرقات الأدبية وموقف النحويين واللغويين من الشعر ونقده ، ونقد شرح الحماسة لأبي تمام ، وأسهب في ذلك ، وأكثر من ذكر الشواهد .

وكانت مقدمة « الاستدراك » دستوراً للنقد أتى فيها

المؤلف بأشياء جديرة بأن تقيد وتحفظ .

ولابن الأثير في كتابه نظرية على جانب عظيم من الأهمية في النقد العربي، وهي المفاضلة بين الشعراء، وتلك نظرية شغل بها النقاد من قديم .

والتعليل الذي فضل به ابن الأثير بيت النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخا لا تلمه   على شعث أي الرجال المهذب؟

على بيت امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً   لدى وكرها العناب والحشف البالي

من الناحية المعنوية يكشف لنا عن رأيه في نظرتين هامتين في النقد .. هما : المحاكاة والتجربة[1] » .

شيء من مقدمة الكتاب

ومقدمة ابن الأثير لكتابه « الإستدراك » في ٧٣ صفحة .. منها :

« أما بعد .. فإني وقفت على كتاب من تأليف الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن علي الدهان النحوي البغدادي ـ رحمه الله ـ وسمه بـ « المآخذ الكندية من المعاني الطائية » ووجدت النظر يتطرق اليه من وجوه خمسة ...

... فهذه عيوب خمسة وجدتها في الكتاب المشار

(١) مقدمة محقق « الاستدراك » .

إليه ، واذا كان بهذه الصورة ، فلم تكن بذلك الرجل العالم حاجة الى تأليفه ، لأنه عليه لا له ، وجملته وتفصيله ينطقان بالتعصب على المتنبي والغض منه ، ولقد كنت قبل وقوفي على هذا الكتاب ، أعاشر بعض أهل الموصل من أهل الأدب، ممن أراه بعين علم ومعرفة وذكاء وفطنة ، وكان يتعصب على المتنبي أيضاً ، فكنت أعجب منه ، وما أعلم الباعث على ذلك الأمر ، لأنه لم يكن جاهلا ، فأحمله على جهله ، وإنما كان معدودا من العلماء ، فلما وقفت على هذا الكتاب ظهر لي سبب تعصبه الذي كان خفي عني ، وذلك أنـه كان من تلاميذ الشيخ ابن الدهان ، فعلمت أن هذا الدخان شواظ تلك النار ، ولا ينشأ الصغير إلا على ما رأى عليه الكبير •

والمنصف من علماء البيان المحققين ، منهم من يعطي المتنبي حقه من الفضيلة •• وماذا يقال في رجـل خمسة أسداس العالم مجمعون على فضله وتقدمه ، وذاك أن جميع بلاد المشرق من أذربيجان الى حدود الصين لا يتمارون في أنه أشعر الشعراء قاطبة ، وهذه البلاد أكثر من نصف المعمور •

وقد قيل إن أسْيَر كتاب في الأرض ديوان المتنبي ، وكتاب الحماسة على أن ديوان المتنبي أسْيَر ، لأنه وصل الى قوم لايعرفون اللغة العربية كالهند والروم •

ولما وجدت ابن الدهان قد ألف كتابه الموسوم بالمآخذ، أنشأت كتابي هذا ، ووسمته بالإستدراك في الأخذ على المآخذ ، وتكلمت على الحسن والقبيح في مواضعه ، ثم بينت أن علم الشعر والمعرفة ، بجيده ورديئه لا يحيط النحوي به علماً بمجرد معرفته لعلم النحو ، وذلك أنه ينظر في دلالته على المعاني من جهة الإصطلاح المتفق عليه في أصل اللغة ، وتلك دلالة عامة ، وأما صاحب علم الشعر فإنه ينظر في دلالة بعض الألفاظ على بعض المعاني ، وتلك دلالة خاصة .

على أني ماتركت ديوان فحل من فحول العرب حتى طالعته فحفظت منه شيئاً »(١) .

٨ ـ المعاني المخترعة في صناعة الانشاء

وصفه ابن خلكان بأنه نهاية في بابه ، وذكر صاحب كشف الظنون أن لموفق الدين المدائني ، المتوفى سنة ٥٩٠هـ كتاباً بهذا الاسم أيضا .

٩ ـ مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي

ذكر ابن خلكان أنه في مجلد واحد، وقال إن حفظه مفيد. وقال أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل

---

(١) الصفحات : ١ـ٥ ، ٢٦ .

« نقلت من خطه في آخر هذا الكتاب المختار هذين البيتين :

تمتع به علقاً نفيساً فإنه اختيــــار بصير بالأمور حكيم

أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى الى الشعر من نهج إليه قويم[1]

١٠ ـ البرهان في علم البيان

يوجد منه نسخة في برلين بألمانيا ، وعده الزركلي من المخطوطات، وذكره صاحب كشف الظنون وبروكلمان وغيرهما

١١ ـ رسالة في الأزهار

ذكر جورجي زيدان أن منها نسخة في باريس ، وكذلك ذكر بروكلمان . ويعمل الدكتور (عبد الهادي محبوبه) ـ بكلية الآداب جامعة الكويت ـ في تحقيق هذه الرسالة معتمدا في ذلك على مخطوطات في المتحف البريطاني ومكتبة جامعة (كمبردج)[2] .

١٢ ـ كنز البلاغة

ذكره عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (ج:١٣ص٩٨) ولكن السبكى نسبه لعماد الدين ابن الأثير الحلبي .

١٣ ـ رسالة في الضاد والظاء

جاء ذكرها في كشف الظنون وهدية العارفين .

---

(١) وفيات الأعيان ج : ٥ ص : ٢٨ .

(٢) نشرة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية العدد ٣٩ الصادر في ١٣٩٣/١/٢٦ هـ (١/٣/٧٣م) .

١٤ ـ رسالة في أوصاف مصر

ذكرها صاحب هدية العارفين .

١٥ ـ البديـــع

من مؤلفات ابن الأثير مجد الدين المبارك « البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهان ـ كما تقــدم ـ وشك بعض المحققين في نسبة هذا الكتاب لمجد الدين .. ولما كان يوجد بدار الكتب المصرية مخطوطة تحمل اســم « البديع » لابن الأثير ضياء الدين نصر الله وهي في البلاغة فقد ظن بعض الباحثين .. ومنهم محمد زغلول ســلام ومحمد محي الدين عبد الحميد ، أنها المنسوبة لمجد الدين واستبعدوا نسبتها له .. لأنه لايعرف له تأليف في البلاغة .

ويظهرجلياً أن كتاب البديع المنسوب لمجد الدين هوفي النحو كما نص على هذا في اسمه « البديع في شرحالفصول في النحو لابن الدهان » . وأما البديع الموجودة نسخة منه بدار الكتب المصرية فهو في البلاغة لضياء الدين نصر الله ، وهو صغير الحجم ويتكلم فيه عن أبواب من البديع ، مجردة ـ في غالب الظن ـ من المثل السائر أو الجامع الكبير .

١٦ ـ المفتاح المنشأ في حديقة الإنشاء

تحدث فيه عن صناعة الكتابة ، منه نسخة مصورة

بدار الكتب المصرية برقم (٥٠٧٠ أدب) ونسخة أخرى بمكتبة بلدية الاسكندرية •

١٧ – مؤنس الوحدة

جمع فيه مختارات من جيد الشعر لجماعة من الشعراء كالبحتري وابن الرومي وأبي تمام وآخرين من شعراء القرنين الخامس والسادس ، وهو مرتب حسب الموضوعات ، فيبدأ بالمديح ثم الهجاء وأورد فيه كثيرا من شعر ابن الرومي •

منه نسخة بدار الكتب المصرية مصورة عن أصل المحفوظ بمكتبة « كوبريللي » بالأستانة من مخطوطات القرن السابع •

١٨ – الأخبار النبوية

قال ضياء الدين عن هذا الكتاب •• « وكنت أتعبت نفسي زماناً في ذلك حتى جمعت فيه كتاباً ، يشتمل على أكثر من ثلاثة آلاف خبر من الأخبار النبوية ، كلها يحتاج اليه في أسباب الكتابة ، وكنت ألزم مطالعة ذلك الكتاب لزوم المحتفل ، ولا أزال في مطالعته كالحال المرتحل ، حتى صار لدي منضودا ، وبلسان قلمي معقودا •• »[1] •

وقال عنه في موضع آخر « وكنت جردت من الاخبار

(١) الوشي المرقوم ص ٥ ، ٦ •

النبوية كتاباً يشتمل على ثلاثة آلاف خبر ، كلها تدخل في الاستعمال ، وما زلت أواظب على مطالعته مدة تزيد على عشر سنين ، فكنت أنهى مطالعته في كل أسبوع مرة ، حتى دار على ناظري وخاطري مايزيد على خمسمائة مرة ، وصار محفوظا ، لا يشذ عني منه شيء ، وهذا الذي أوردته ههنا في حل معاني الأخبار هو من هناك »[1] .

١٩ ــ كتاب أدعية

أخبر عنه ابن الأثير في كتابه « المثل السائر » بقوله : « وكنت ألفت كتاباً في ذكر أدعية مخصوصة ، ضمنته مائة دعاء ، مما توضع في الكتب السلطانيات والإخوانيات ، وضمنت على نفسي أن أودع كل دعاء منها معنى آية من القرآن ، أوخبر من الأخبار النبوية ، أو معنى بيت سائر »[2]

وقال عنه أيضاً « ومما ينخرط في هذا السلك ماأوردته في صدور الكتب من الأدعية ، وقد عرفتك فيما تقدم[3] من هذا الكتاب بأني أنشأت مائة دعاء ، مما توضع في الكتب السلطانيات والإخوانيات ، وضمنت على نفسي أن أودع كل دعاء منها معنى آية من القرآن ، أو خبر من الأخبار النبوية ، أومعنى بيت سائر ، وأفردت لتلك الأدعية كتاباً يخصها »[4]

---

(١) المثل السائر ج : ١ ص : ١٢٨ . (٢) ص : ٧٠ .
(٣) يشير للفقرة الماضية . (٤) ص : ٩٧ .

كما ذكره في موضع ثالث من الكتاب[1] .

٢٠ ـ السرقات الشعرية

ذكره مؤلفه في « المثل السائر » بقوله : « واعلم أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية ، فأكثروا ، وكنت ألفت فيه كتاباً وقسمته ثلاثة أقسام ؛ نسخاً ، وسلخاً ومسخا .. »[2] .

تحدث فيه عن هذه الأشياء الثلاثة ، عدا ما كتبه عنها في المثل السائر .

٢١ ـ المرصع في الأدبيات

نسبه لـه يوسف سركيس في « معجم المطبوعات » وقال عنه .. « المرصع في الأدبيات ـ استانة ١٣٠٤ هـ ، وعلى الصفحة الأولى من هذه الطبعة كتب « دخى نشر أو لنمشدر » أي أنـه الطبعة الأولى . وطبع في ويمـار (فرنسا) سنة ١٨٩٦م موسوماً بـ «المرصع في الآباء والأمهات» ونسب لأبي السعادات ابن الأثير »[3] .

وتقدم في مؤلفات أخيه مجد الدين « المرصع في الآباء والأمهات والأبناء والبنات والأذواء والذوات » ، وأوضحت هناك شيئاً عنه[4] . وقد يكون لضياء الدين نصر الله مرصع

---

(١) ص : ١١٢ . (٢) ج : ٢ ص : ٣٦٥ .
(٣) ج : ١ ص : ٣٦ . (٤) انظر ص : ٥١ .

أدبي كما لأخيه مجد الدين المبارك مرصع معجمي .

٢٢ ـ عمـود المعـاني

أشار اليه مؤلفه في كتابـه « الإستدراك » بقوله : « وقد ألفت في ذلك ـ جريان الحكم في أعمـدة المعاني وما يخرج من شعبها ـ كتاباً ، وسميته « عمود المعاني » وجعلته مقصورا على ضروب المعاني الموجودة في النظم ، والنثر ، ومافيها مـن الأعمدة المطروقة .

وهذا كتاب تعبت في تأليفه زمناً طويلا ، وأناضنين به »[١].

٢٣ ـ مختار في الأحاديث

أورده الدكتـور محمد زغلول سـلام في كتابـه « ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد » بقوله : (ومن مختاراته في غير الشعر كتاب جمع فيه منتخبات من الأحاديث) ولم يشر الى مصدره في ذلك[٢] .

٢٤ ـ تجريد أمثال الميـداني

قال عنه ابن الأثير في « المثل السائر » .. (وكنت جردت كتاب الأمثال للميداني أوراقاً خفيفة ، تشتمل على الحسن من الأمثال الذي يدخل في باب الإستعمال[٣] .

---

(١) ص : ١١ و ١٢ . (٢) ص : ٦٨ . (٣) ج : ١ ص : ١٤ .

٢٥ ـ القول الفائق الأديب بعتبى وليد وذكرى حبيب

ينسب إليه هذا الكتاب الذي يجمع بين فنون مختلفة من شعر أبي تمام والبحتري ، ومقدمته تعرضت بصورة عامة للمفاضلة بين الشاعرين في ضروب الشعر المختلفة ، وقد قسمها الى ثلاثين فصلا ، يتناول كل فصل منها موضوعاً . فالفصل الأول في ذكر ماقالاه في الوقوف على الديار ، والثاني في ذكر ماقالاه في السلام على الديار ، والثالث في ذكر ماقالاه في الدهور والأزمان ... الخ .

والمتصفح للكتاب يلمس بوضوح أنه ليس لضياء الدين ، ويأتيه الدليل فيمن ينقل عنهم المؤلف من رجال القرن الثالث الهجري وأول الرابع ، كما أنه يبدو قريب الشبه في منهجه وأسلوبه من (كتاب الموازنة) للآمدي إلا أنه ليس مما هو مطبوع منه ، ولعله جزء متمم له ..

توجد منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية عن الأصل المحفوظ بجامعة استانبول[١]

---

(١) ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد ص : ٧٢-٧٣ .

ابن (ابن الاثير) شرف الدين محمد بن نصر الله

٥٨٥ـ٦٢٢هـ / ١١٨٩ـ١٢٢٥م

قال عنه ابن خلكان •• « وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه ، له النظم والنثر الحسن ، وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها ، ورأيت له مجموعاً ، جمعه للملك الأشرف بن الملك العادل بن أيوب ، وأحسن فيه ، وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ، ورسائل أبيه ، ومولده بالموصل في شهر رمضان سنة ٥٨٥ هـ ، وتوفي بكرة نهار الاثنين ثاني جمادى سنة ٦٢٢هـ واسمه : محمد ولقبه: الشرف رحمه الله »(١)

وذكر الزركلي أن الغزولي رأى له كتابا اسمه « نزهة الأبصار في نعت الفواكه والثمار » ونقل فصلا منه •

وقال عنه الدكتوران ؛ مصطفى جواد ، وجميل سعيد : « وقد عرفنا في التاريخ له ـ لضياء الدين ـ من الولد •• شرف الدين أبا عبد الله محمد ••• توفي قبل وفاة أبيه ، والظاهر أنه درس على أبيه وأتقن علم الأدب •• وألف كتباً •• منها :

---

(١) وفيات الأعيان جـ : ٥ ص : ٣٢ •

ـ غرة الصباح في أوصاف الإصطباح .

ـ الأنوار في نعت الفواكه والثمار[1] .

ـ روضة النديم .

قال الصفدي عن شرف الدين « له اليد الطولى في الترسل والشعر الخ »[2] .

هل لبني الاثير اخوة ؟

لم يذكر أحد من المؤرخين والمترجمين أن لبني الأثير الثلاثة .. إخوة ، سوى ماذكره شهاب الدين النجفي في مقدمته لإحدى طبعات « أسدالغابة » حيثقال .. « ثم اعلم أن بني الأثير أبي الكرم محمد .. عدة ، أشهرهم ثلاثة » .

وقوله فيموضع آخر .. « وسمعت عنبعض المؤرخين والمطلعين أنه كان لأثير الدين ابن غير هؤلاء المشاهير اسمه محمد ، وكان من المحدثين والله أعلم » .

---

(١) لعله : « نزهة الأبصار في نعت الفواكه والثمار » المتقدم ذكره قبلقليل.

(٢) مقدمة محققي « الجامع الكبير » ص : ٩ ، ١٠

بنو أثير آخرون

وفيما يلي سأذكر عددا من الأعلام ممن يشتركون مع بني الأثير الثلاثة في اسم (ابن الأثير) ، أو (أثير الدين) وشيئاً قليلا عنهم ، وهم اثنا عشر شخصاً ، ويظهر أنه لا رابطة بينهم وبين أسرة بني الأثير الجزريين ..

١ ـ ابن الأثير الحلبي

٦٥٢ ــ ٦٩٩ هـ

١٢٥٤ ــ ١٢٩٩م

هو العلامة عماد الدين اسماعيل بن أحمد بن سعيد ابن محمد المعروف بابن الأثير الحلبي الشافعي .. أبو الفداء المتوفى في وقعة التتار سنة ٦٩٩هـ . أحد كتاب الدرج بالقاهرة .. له خطب مدونة . وهو الذي شرح قصيدة ابن عبدون الرائية التي رثى بها بني الأفطس .

من مؤلفاته .. « كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة » الذي اختصره ولده أحمد وسماه « جواهر الكنز » .

وذكر صاحب كشف الظنون من مؤلفات ابن الأثير الحلبي كتاب « عبرة أولي الأبصار في ملوك الأمصار »

وقال إنه اقتصر فيه على الملوك والخلفاء في البلاد كلها ، من غير تعرض لشيء من الوفيات وهو في مجلدين .

ومن مؤلفاته « عمدة الأحكام عن سيد الأنام » جاء في « إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام » أن مؤلفه ابن دقيق العيد أملاه على الوزير عماد الدين ابن الأثير الحلبي . وجاء في مقدمة المحقق « محمد حامد الفقي » قوله « ثم جاء القاضي الوزير عماد الدين ابن الأثير ، فاختار حفظ هـذا الكتاب النفيس واحتاج الى أن يتفهمه ويتفقه في الاستنباط من أحاديثه فلم يجد خيرا من ابن دقيق العيد فكان بينهما هذا الشرح النفيس ؛ ابن دقيق العيد يشرح ويملي ، وابن الأثير يكتب ويستملي حتى خرجت هذه الدرة المنتقاة .

٢ ـ والده .. تاج الدين أحمد بن سعيد

هو تاج الـدين أحمد بن سعيد بن الأثـير .. والد عماد الدين ورد ذكره في كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزى ، فقد جاء في حوادث سنة ٦٨٤ هـ قوله « بعث السلطان قلاوون الى سنقر الأشقر بتاج الدين أحمد بن سعيد ابن الأثير يلومه عـلى مكاتبة التتار ، والإستنجاد بهم ، ويدعوه الى الحضور » . كما جاء ذكر أحمد هذا في حوادث سنة ٦٩١هـ بما نصه : « أقر السلطان في ديوان الإنشاء

تاج الدين أحمد .... ابن الأثير التنوخي الحلبي ، عوضا عن ابن الظاهر » وجاء في نفس الكتاب « ولي ديوان الإنشاء عماد الدين اسماعيل .. بعد وفاة والده ، فإن والده لم يقم في كتابة السر إلا نحو شهر ومات بغزة عند عوده من دمشق » .

وفي تاريخ ابن الجزري ترجمة أحمد بن سعيد ، المتوفى بغزة وهو متوجه الى مصر سنة ٦٩١هـ[١] .

٣ ـ ابنه .. نجم الدين أحمد بن اسماعيل

هو العلامة أحمد بن اسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير الحلبي ثم القاهري الملقب بنجم الدين ، أحد رؤساء الإنشاء المتوفى بالقاهرة سنة ٧٣٧هـ . ترجمه في الدرر الكامنة

له من المؤلفات : « جواهر الكنز في البيان والبديع » وهو اختصار كتاب والده « كنز البراعة »[٢] .

٤ ـ أثير الدين الخصوصي

محمد بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد الخصوصي ثم القاهري الشافعي ، يعرف بأثير الدين الخصوصي[٣] . فقيه أصولي أديب ناظم ناثر . ولد نيف وستين وسبعمائة بالقاهرة .

---

(١) فهرس الخزانة التيمورية ومعجم المؤلفين ومقال الدكتور داود الجلبي وكشف الظنون .

(٢) فهرس الخزانة التيمورية .

(٣) نسبة الى قرية بالشرقية بمصر .

من آثاره أرجوزة في ألف بيت سماها « الإرتضاء في شروط القضاء » وأخرى في الأصول وتعليقات في الفقه[1].

٥ ـ أثير الدين الأبهري

٠٠٠ ـ ٦٦٣ هـ

٠٠٠ ـ ١٢٦٤ م

المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري السمرقندي حكيم منطقي فلكي .. من تصانيفه :

١ ـ هداية الحكمة (مطبوع).

٢ ـ تنزيل الأفكار في تعديل الأسرار .. في المنطق (مخطوط).

٣ ـ إيساغوجي وشروحه في المنطق (مطبوع).

وهو غير إيساغوغي .. اليوناني (فرفيرموس) التي ترجمها ابن المقفع. والإيساغوجي .. كلمة يونانية معناها القيادة والإدخال والتدريب.

٤ ـ درايات الأفلاك (مخطوط)

٥ ـ الزيج الشامل (مخطوط)

٦ ـ الزيج الإختياري ويعرف بـ « الزيج الأثيري » (مخطوط).

---

(١) معجم المؤلفين ج : ١١ ص : ٩١

٧ ــ مختصر في علم الهيئة •
٨ ــ رسالة في الإسطرلاب (مخطوط) •
٩ ــ جامع الدقائق في كشف الحقائق (مخطوط)[١]

٦ ــ أثير الدين الشيخ

من شيوخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله

٧ ــ ابن الأثير اليمني

تقدم قول مؤلف « معجم المصنفين » بعد أن ذكر أبناء الأثير الثلاثة « فهم إخوة من علماء الجزيرة ــ وأما ابن الأثير من علماء اليمن فهو غير المذكورين ، صنف تصنيفا »[٢] •

٨ ــ مجد الدين محمد بن الأثير

ورد ذكره تكراراً في كتاب « الحوادث الجامعة » لابن الفوطي[٣] •

٩ ــ أثير الدين التستري

ورد ذكره في الكتاب المذكور ، وقيل هناك إنه ابن عم مجد الدين محمد بن الأثير السالف الذكر •

---

(١) معجم المؤلفين جـ : ١٢ ص : ٣١٥ والاعلام جـ : ٧ ص : ٢٠٣ •
(٢) ص : ٢٥
(٣) المصدر في هذا وفي الأربعة الذين يلونه هو مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق • الجزء الرابع المجلد الثالث والثلاثون لعام ١٩٤٨م ص ٥٥٩، ٥٦٠

١٠ – شرف الدين ابن الأثير

محمد بن شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد ابن الأثير ، ذكر في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي في حوادث سنة ٧٠١ هـ بأنه قدم البريد بحضور علاء الدين ابن شرف الدين محمد القلانسي إلى دمشق وصحبته شرف الدين محمد بن شمس الدين ... ابن الأثير في تاسع عشر جمادى الأولى من بلاد التتر ، وكانا قد أخذا لما دخل التتر الى بلاد الشام ففرا ولقيا مشقة زائدة في طريقهما .

١١ – شمس الدين سعيد بن الأثير

هو سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير ، توفي سنة ٧٠١هـ بدمشق ، وكان يكتب الإنشاء بها . وهو والد شرف الدين محمد المتقدم ذكره قبل قليل .

١٢ – شمس الدين حسن بن الأثير

جاء في ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي تأليف تلميذه الحافظ بن أبي المحاسن الحسيني الدمشقي قوله « ومات بمصر الواعظ شمس الدين حسن بن أسد بن مبارك بن الأثير ، سمع الحافظ المنذري والنجيب .

ابنـا الجزري

وابن الجزري وابنه يشتركان مع بني الأثير في صفة « الجزري » • ولهذا أورد ترجمة مختصرة لكل منهما •

١ ـ ابن الجزري محمد

٧٥١ ـ ٨٣٣ هـ

هو الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (بن محمد) بن علي بن يوسف الدمشقي الشهير بابن الجزري ،

ولـد في دمشق وتعلم بها ، ولما حج أخذ عن علماء المدينة ، ثم رحـل الى مصر وقرأ على علمائها ، ثم رجـع الى دمشق •

نبغ في القراءات ، وأخذها عنه كثيرون •

أخذه معه تيمورلنك سنة ٨٠٥هـ الى ماوراء النهر ، ولكنه عاد بعد وفاة تيمورلنك ، ووصل خراسان ، ثم غادرها الى اصبهان ، فشيراز ، واستقر في البصرة ، ثم توجه منها ومعه المولى معين الدين بن عبد الله فوصلا الى عنيزة[١] بنجد ، وتوجها منها قاصدين البيت الحرام ، فأخذهما أعراب من بني لام بعد مرحلتين فنجاهما الله تعالى ورجعا الى عنيزة•

---

(١) هي الآن مدينة من كبريات مدن منطقة القصيم بعد « بريدة » • د

ونظم بها « الـدرة المضيئة في القراءات الثلاث » حسبما تضمنه كتاب « تحبير التيسير » له • ثم تيسر لهما الحج ، وأقام بالمدينة مدة ، وألف بهـا « نشر القراءات العشر » ومختصره « التقريب » ، ثم عاد الى شيراز وتوفي بها •

عدّ له علي محمد الضباع ـ الـذي راجع وأشرف على تصحيح « النشر في القراءات العشر » ـ ثلاثة وثلاثين مؤلفاً ، أكثرها في القراءات ••

منها •• ـ إضافة الى الكتابين الماضيين ـ :

ـ منجد المقرئـين •

ـ المقدمة فيما على قارىء القرآن أن يعلمه • وتسمى (المقدمة الجزرية) •

ـ إتحاف المهرة في تتمة العشرة •

ـ التمهيد في التجويد •

ـ الحصن الحصين في كلام سيد المرسلين •

٢ ـ ابن الجزري احمد

أبو بكر أحمد بن محمد بن الجزري الشافعي ، وهو ولد ابن الجزري المتقدم ذكره •• من مؤلفاته (الحواشي المفهمـة في شرح المقـدمة) وهو شرح المقدمـة الجزرية في التجويد • تأليف والده •

المصادر والمراجع

١ ــ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ــ تقي الدين ابن دقيق العيد (ــ٧٠٢هـ) . تحقيق محمد حامد الفقي ــ١٣٧٢هـ

٢ ــ الإستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان ــ ابن الأثير ضياء الدين نصر الله (ــ٦٣٧هـ) تحقيق : حفني محمد شرف مكتبة الانجلومصرية القاهرة ١٩٥٨م .

٣ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة ــ ابن الأثير عز الدين علي (ــ٦٣٠هـ) طبعة جمعية المعارف المصرية ١٢٨٠هـ .

٤ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة .. طبعة طهران (١٣٧٧هـ) كتب مقدمته شهاب الدين النجفي .

٥ ــ الإصابة في تمييز الصحابة ــ أبو الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر (ــ٨٥٢هـ) مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٣هـ

٦ ــ الأعلام ــ خير الدين الزركلي الطبعة الثانية ١٣٧٣ ــ ١٣٧٨هـ مطبعة كوستا تسوماس بالقاهرة .

٧ ــ أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ــ سلسلة يصدرها الدكتور صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديد بيروت (١٩٦٣م)

٨ ــ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ــ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ــ٩٠٢هـ) نشر: القدسي دمشق: ١٣٤٩هـ

٩ ـ البداية والنهاية في التاريخ ـ أبو الفداء اسماعيل بن كثير (ـ٧٧٤هـ) المطبعة السلفية ومطبعة السعادة ١٣٥١هـ .

١٠ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ جلال الدين السيوطي (ـ٩١١هـ) مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٦هـ .

١١ ـ تاريخ الأدب العربي ـ كارل بروكلمان الطبعة الألمانية

١٢ ـ تاريخ آداب اللغة ـ جورجي زيدان . دار الهلال ١٩٥٧م أشرف على هذه الطبعة الدكتور شوقي ضيف . .

١٣ ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ـ ابن الأثير عز الدين علي . تحقيق عبد القادر طليمات ـ ١٣٨٢ه (١٩٦٣م)

١٤ ـ تجريد أسماء الصحابة ـ الحافظ شمس الدين الذهبي (ـ٧٤٨هـ) مطبعة دار المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن ١٣١٥هـ .

١٥ ـ تراث الإنسانية ـ سلسلة تتناول روائع الكتب ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر . . مطبعة كوستا تسوماس وشركاه بالقاهرة .

١٦ ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول ـ ابن الأثير مجد الدين المبارك (٦٠٦هـ) تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨هـ .

١٧ ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول ـ تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط . نشر : مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) .

١٨ ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ـ ابن الاثير ضياء الدين نصر الله . تحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد . المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥هـ .

١٩ ـ حكم قراقوش ـ الدكتور عبداللطيف حمزه . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) .

٢٠ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ مجموعة من المستشرقين . نقلها الى العربية محمد ثابت وآخرون ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) .

٢١ ـ الدر النثير في تلخيص نهاية ابن الاثير ـ جلال الدين السيوطي (بهامشها النهاية لابن الاثير المبارك) المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٢٣هـ .

٢٢ ـ رسائل ابن الاثير ـ ابن الاثير ضياء الدين نصر الله نشر وتحقيق أنيس المقدسي مطابع دار العلم للملايين ١٩٥٩م .

٢٣ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ ابن العماد الحنبلي (ـ١٠٨٩هـ) نشر : مكتبة القدسي بمصر ١٣٥١هـ .

٢٤ ـ ضياء الدين ابن الاثير وجهوده في النقد ـ الدكتور محمد زغلول سلاّم مطبعة نهضة مصر (١٩٦٥م) .

٢٥ ـ ضياء الدين ابن الاثير ـ الدكتور محمد زغلول سلاّم سلسلة (نوابغ الفكر العربي) دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) .

٢٦ ـ طبقات الشافعية ـ عبد الوهاب السبكي ـ المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٤هـ .

٢٧ ـ العبر في خبر من غبر ـ الحافظ الذهبي . تحقيق

الدكتور : صلاح الدين المنجد نشر وزارة الارشاد والانباء الكويتية ١٣٨٦هـ .

٢٨ ـ فهرس الخزانة التيمورية ـ أحمد تيمور باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤٨م .

٢٩ ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية ـ محمد عبد الحي الهندي مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤هـ .

٣٠ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الاثير عز الدين علي . طبعة بولاق القاهرة ١٢٩٠هـ .

٣١ ـ الكامل في التاريخ . طبعة المطبعة المنيرية والمكتبة التجارية ١٣٤٨هـ ـ ١٣٥٣هـ .

٣٢ ـ الكامل في التاريخ . دار صادر ودار بيروت ١٩٦٥م.

٣٣ ـ كتاب مخطوطات الموصل ـ الدكتور داود الجلبي الموصلي مطبعة الفرات ، بغداد ١٣٤٦هـ .

٣٤ ـ اكتفاء القنوع بماهو مطبوع من أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية ـ ادوارد فنديك . مطبعة التأليف (الهلال) بمصر (١٨٩٦م) ١٣١٣هـ .

٣٥ ـ الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف ـ محمد أسعد طلس ، مطبعة العاني بغداد ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) .

٣٦ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ مصطفى عبد الله (حاجي خليفة) (ـ١٠٦٧هـ) مطبعة وكالة المعارف باستانبول (١٩٤٣م) ١٣٦٢هـ .

٣٧ ـ كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ـ ابن الاثير ضياء الدين .. مخطوط بخزانة محمد سرور الصبان بمكة المكرمة .

٣٨ ـ اللباب في تهذيب الأنساب ـ ابن الاثير عز الدين علي طبعة القدسي ١٣٥٦هـ بالقاهرة .

٣٩ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ابن الاثير ضياء الدين طبعة بولاق ١٢٨٢هـ .

٤٠ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٨هـ

٤١ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ تحقيق الدكتورين أحمد الحوفي وبدوي طبانه مطبعة الرسالة ١٣٨١هـ.

٤٢ ـ مجلة العرب ـ تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر لصاحبها حمد الجاسر .

٤٣ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ يصدرها المجمع العلمي العربي السوري .

٤٤ ـ المرصع في الآباء والأمهات والأبناء والبنات والاذواء والذوات ـ ابن الاثير مجد الدين المبارك . مخطوطة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة .

٤٥ ـ المرصع .. طبعة المانيا نشر المستشرق سيبولد ١٨٩٦م

٤٦ ـ المرصع ...... تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي مطبعة الارشاد بغداد ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .

٤٧ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ـ أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زاده) (ـ٩٦٢هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن (الهند) .

٤٨ ـ معجم الأدباء ـ أبو عبدالله ياقوت الحموي (ـ٦٢٦هـ) نشر أحمد فريد رفاعي مطبعة دار المأمون بمصر ١٣٥٥هـ .

٤٩ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) .

٥٠ ـ معجم المصنفين ـ محمود حسن التونكي مطبعة وزنكوغراف طباره بيروت ١٣٤٤هـ .

٥١ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة من يوم ظهور الطباعة الى نهاية سنة ١٣٣٩هـ (١٩١٩م) ـ يوسف اليان سركيس ١٣٤٦هـ ـ (١٩٢٨م) مصر .

٥٢ ـ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ـ عمر رضا كحالة مطبعة الترقي بدمشق ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) .

٥٣ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ جمال الدين يوسف بن تغرى بردى مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٥ هـ .

٥٤ ـ النشر في القراءات العشر ـ شمس الدين محمد بن محمد الشهير بابن الجزري . تحقيق علي محمد الضباع مطبعة مصطفى محمد بمصر (بدون تاريخ) ! .

٥٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الاثير مجد الدين المبارك . المطبعة العثمانية بالقاهرة ١٣١١ هـ .

٥٦ ـ النهـاية في غريب الحديث والأثر ـ ... المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٢٣هـ .

٥٧ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر .. ـ تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٣هـ

٥٨ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ـ اسماعيل باشا البغدادي. مطبعة وكالة المعارف باستانبول ١٩٥٥م

٥٩ ـ الوشي المرقوم في حل المنظوم ـ ابن الاثير ضياء الدين نصر الله مطبعة ثمرات الفنون . بيروت ١٢٩٨م .

٦٠ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان (ـ٦٨١هـ) تحقيق محمد محي الـدين عبـد الحميد . مطبعة النهضة المصرية بالقاهرة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
في صناعة الإنشاء ـ (٩) مجموع اختار فيه شعر أبى تمام والبحتري وديك الجن والمتنبى (١٠) البرهان في علم البيان (١١) رسالة في الأزهار (١٢) كنز البلاغة (١٣) رسالة في الضاد والظاء (١٤) رسالة في أوصاف مصر (١٥) البديع (١٦) المفتاح المنشأ في حديقة الإنشاء (١٧) مؤنس الوحدة (١٨) الأخبار النبوية (١٩) كتاب أدعية (٢٠) السرقات الشعرية (٢١) المرصع في الأدبيات (٢٢) عمود المعاني (٢٣) مختار في الأحاديث (٢٤) تجريد أمثال الميداني (٢٥) القول الفائق الأديب بعتبى وليد وذكرى حبيب	
ابن (ابن الأثير) شرف الدين محمد بن نصر الله	١٥٧
هل لبني الأثير إخوة؟	١٥٨
بنو أثير آخرون	١٥٩-١٦٤
١ ـ ابن الأثير الحلبي .. ٢ ـ والده : تاج الدين أحمد بن سعيد .. ٣ ـ ابنه : نجم الدين أحمد ابن اسماعيل .. ٤ ـ أثير الدين الخصوصي ٥ ـ أثير الدين الأبهري .. ٦ ـ أثير الدين الشيخ ٧ ـ ابن الأثير اليمني .. ٨ ـ مجد الدين ابن الأثير .. ٩ ـ أثير الدين التستري .. ١٠ ـ شرف الدين ابن الأثير .. ١١ ـ شمس الدين سعيد بن الأثير .. ١٢ ـ شمس الدين حسن ابن الأثير	
ابنا الجزري	١٦٥-١٦٦
ابن الجزري محمد ـ ابن الجزري أحمد . . .	
المصادر والمراجع	١٦٧
الفهرست	١٧٤

شركة مطابع الجزيرة - الرياض
الملز ت ٢٠٦٨٢ - ٢٠٦٨٣



بنو الأثير

محمد الحمدان

- من مواليد بلدة ((البير)) احدى قرى ((المحمل)) شمال مدينة الرياض .
- تخرج من كلية العلوم الشرعية بالرياض عام ١٣٨٣ .
- عضو مؤسسة الجزيرة الصحفية .
- شارك ويشارك بقلمه في الصحف والمجلات السعودية الموجودة والمحتجبة وله زاوية (دبابيس) في ((الجزيرة)) و (السلام عليكم) في ((الدعوة)) .
- يكتب في النقد والاجتماع والأدب والمرأة والصحافة . وله آراء في كل ذلك لم يتح لبعضها الخروج !
- شارك في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين عام ١٣٩٤ ببحث عنوانه ((نجد .. في الشعر العربي)) ينوي إخراجه في كتاب .
- له عناية بالتراث الشعبي والأدب الشعبي والشعر الشعبي .